روايات مصرية

ميتافيزيقا (١)

بائع روبابكيا

(وقصة أخرى)



أحمد فكرى

روايات مصرية

ميتافيزيقا (١)



أحمد فكرى

22/1/015

بائع روبابكيا

(وقصة أخرى)

لنقل إن هناك سلسلة جديدة تتحدث عن أدب
الرعب وإن هناك محاميًا يهوى جمع الأشياء القديمة
وإن هناك صندوقًا ..
وإن هناك كتابًا يفعل ما يحلو له !
وإن هنالك دمية تجوب المتحف ليلًا !
وإن هنالك قائمة قتلى أنا من بينهم !! ..

الثمن فى مصر 7 جـ
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم





1

روايات مصرية

ميتافيزيقا

بائع روبابكيا

وقصة أخرى

روايات مصرية

•

ميتافيزيقا

تتجاوز حدود الطبيعة
أو ما وراء الطبيعة

إشراف
الأستاذ / حمدى مصطفى

•

طباعة ونشر العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ المطابع 8 ، 10 شارع المنطقة الصناعية بالعباسية ـ منافذ البيع 10 ، 16 شارع كامل صدقى الفجالة ـ 4 شارع الإسحاقى : بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ـ القاهرة ت : 24677371 ـ 24677183 ـ 24677188 ، فاكس : 202/2596650 ج.م.ع ـ
الإسكندرية 4 شارع بدوى / محرم بك ـ ت : 03/4970840 ـ 03/4970850

1

ميتافيزيقا

تتجاوز حدود الطبيعة
أو ما وراء الطبيعة

بائع روبابكيا

وقصة أخرى

تأليف :
أحمد فكرى

العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والاسكندرية
[illegible]
[illegible]

مقــدمــة

ميتافيزيقا ...

مصطلح يعنى الأشياء التى لا تخضع لقوانين الطبيعة ، أو يمكن التعبير عنها مجازيًا ، بأنها الأشياء التى تتجاوز حدود الطبيعة أو ما وراء الطبيعة .. وقد أتت الكلمة من الكلمتين اليونانيتين (μετά) ومعناها (ميتا : ما وراء أو بعد) و (φυσικά) وتعنى (فيزكا : مادى أوطبيعى) .

* * *

البــداية ..

أنت تعلم مظهر باعة الروبابكيا جيدًا .. لذا لا داعى لوصف صــفوت الدكش هاهنا .

مجرد حمار !!

لا .. ليس صفوت طبعًا وإنما ما يقوده ..

فهى عربة مقيد بها من الأمام حمار بائس .. يلسعه صفوت من حين لآخر لسعة بالعصا كى يتذكر أنه حمار وأنه من الواجب عليه أنه يضرب .. كى يسير فى طريقه .

وبالفعل يسير الحمار .. متمنيًا لو أن ذلك الدكش كان مقيدًا بدلاً منه .

يصرخ (الدكش) ..

قائلاً بضع كلمات لن تتبين منها سوى كلمة (بكيا) ، التى تدل على أنه بائع روبابكيا .

فى هذه الاثناء تجدنى أنا وقد خرجت إلى الشرفة ، وبدورى أخذت أهلل كى يسمعنى الرجل .

أن دققت النظر فىَّ أكثر لوجدت أننى أصلع .. بدين قليلاً ..

من أنا ؟

أعرفكم بنفسى ..

أنا إبراهيم محمد فتحى .. محام ، لكن لا أمارس المهنة .. أرمل ، فقد ماتت زوجتى وابنتى فى حادث منذ زمن .. مقطوع من شجرة كما يقولون ، ورثت ما أنا فيه عن أبى ، وأبى عن أبيه ، الذى هو جدى ، فقد كان جدى قاضيًا مشهورًا .

أهوى جمع التحف ، والأشياء القديمة التى أشعر أنها ذات قيمة ..

لذا ترانى بعد لحظات أقف مع الدكش وأقلب فى صندوق معدنى يبدو عليه القدم ، لكنه محكم الإغلاق !

فعلى بابه يتدلى قفل كبير عتيق ...

أمسكه أنا .. واجذبه يمينًا ثم يسارًا حتى يستجيب ليعلن لى أنه هاوٍ ، لكنه يأبى تمامًا ..

عندها ترى الدكش ينظر إلىَّ متشككًا ومتأهبًا .. كى يلسعنى لسعة من اللسعات إياها ، معتقدًا أننى لن أبتاع منه شيئًا .. وأننى مجرد زبون سمج .. سوف يقلب فى الأشياء كلها ، ويبعثرها ، وبعدها ينصرف تاركًا إياه وقد استشاط غضبه ..

تلافيت أنا كل هذا ، ونظرت له فى تودد ثم سألته قائلاً :

ــ بكم هذا ؟

ــ ألف جنيه ..

قالها وهو يلتقطه منى ويضعه على العربة .. ثم يضيف :

ــ حتة واحدة .. ستأخذه أم لا ؟..

ــ ألف جنيه .. ألا ترى أنه مبلغ مبالغ فيه قليلاً ؟..

قلتها فى حذر بالغ .. وقدماى تتراجع للوراء ..

فأجابنى :

ــ لو وجدت به مالاً فهو لك ، لو وجد به قتيلاً فهو لك .

« حقًّا أن ما قاله قد أثار فضولى وشغفى » .

أشرت له بيدى تجاه شقتى ، وأنا أضيف :

ــ خمس دقائق لا أكثر كى أحضر لك ما تريد

ــ حسنًا وأنا أنتظرك .. لكن لا تتأخر .

قالها وكنت أصعد أنا الدرج .

أحضرت له المبلغ وناولته إياه ، وناولنى بدوره الصندوق .. بعد أن لثم النقود مرات عدةً .

ــ بارك الله لك فيه .

ــ شكرًا ..

قالها ورددت عليه وانصرف مبتعدًا ، تاركًا إياى ممسكًا بالصندوق مبلل الأفكار .

« بكياااا............ . »

* * *

صعدت به ، ووضعته على أقرب مقعد خشبى ، وهرولت إلى الداخل ، كى احضر أى شىء يصلح لفتحه ، وعدت إليه ....

« طاااااخ .. دب .. دب .. بوم .. بوم .. دششششش .. طراااااخخ .. »

وأخذ يتلقى منى عدة طرقات .. يمينًا ثم يسارًا ثم يمينًا .. ولم يستغرق الأمر أكثر من ذلك كى يفرغ الصندوق فاهه ، ويتحطم قفله العتيق الصدئ .. ويعلن لى عما بداخله .

....

مرت ثوان .. ربما دقائق ، وأنا أتخيل منظر صفوت الدكش ، وهو يلهو بنقودى ، ويبتسم فى خبث ، وفخر على أكبر مغفل قابله فى حياته .

بالطبع أنت تريد أن تعرف ما حواه الصندوق ؟؟

ولك كل الحق ، لكن أرجوك تقبل ما ستعرفه بصدر رحب كما تقبلته أنا .

حسنًا .. اتفقنا .

اتفقنا ..

إنه كتاب !!

نعم .. كتاب قديم لكنه ليس مهترئًا .. تناولته ورحت أقلبه بين يدى ..

فتحته ثم أغلقته .. قرأت المكتوب على الغلاف بخط مذهب ...

« كان » !!..

هذا عنوان الكتاب .. « كان » !

لم أدر ما أفعل به حقًا ؟

بالطبع لم ، ولن أتخلص منه فى أقرب صندوق للقمامة .. إن كنت تظن ذلك ..

فثمنه ألف جنيه !

هل تصدق ذلك ؟!

كتاب ثمنه .. ألف جنيه !

من المغفل الذى سيشترى كتاب بذلك السعر !

« كتاب نحو » .. بألف جنيه !!

لا يوجد ، بكل تأكيد .. لا يوجد سوى واحد فقط .. واحد فحسب ..

ويؤسفنى أنه .. أنا ..

حينئذ .. تذكرت فيلم كراكون فى الشارع ، وجملة الفنان عادل إمام ..

(أغلى كيس بلح فى العالم) .

لن أخبرك أننى قطعت الشقة جيئة وذهابا وأنا أرمق الكتاب ومعه خيبتى ..

فأنا أدلف إلى الحمام أرمقه .. أخرج منه أرمقه .

كان !

نحو !

لغة عربية !

وأنا أمقت اللغة العربية وبالتحديد النحو ..

حتى ولو كان فى أية مادة أخرى ، لربما .... كان !!

أعددت لنفسى فنجانًا من القهوة وجلست أفكر ...

عندها تذكرت صديقى اللدود سعيد ..

مدرس اللغة العربية فى مدرسة « .... » .. مممممم .. لا أذكر ، لكنه مدرس وربما قال شيئًا عن الكتاب أثلج به صدرى .. ربما أفادنى .. وأراح قلبى ، وقال لى إنه قيم وثمين أو ربما نادر ..

أعلم أن ذلك لن يحدث ، لكنها القشة ..

فقررت الذهاب إليه ..

بالطبع لن أخبرك أننى حلمت بالدكش وهو يخرج لسانه لى .. ومن ثم يتحول إلى ذئب ، ويلتهم نقودى .. يركض خلفى و .....

لن أخبرك بهذا إن كنت تعتقد ذلك ..

* * *

زيـــارة ..

على باب شقة سعيد أقف .. أدق الجرس عدة مرات ..

لكن لا رد !

مرة أخرى لكن لا رد !

مرة أخرى ... وقبل أن أكمل دق الجرس تناهى إلى مسامعى صوت سعيد وهو يصرخ قائلاً :

ــ انتظر قليلاً .. سوف أخرج لك يا ابن الــ « ....,......... » .

مؤدب هو سعيد .. بالفعل مدرس لغة عربية ..

هو يحسب أن كل من يتعامل معه تلميذ من تلاميذه .

انفتح الباب وطل منه وجه سعيد .. وهو يرتدى فانلة داخلية وبنطالاً خاصًا بمنامة زرقاء ..

رحب بى فى حرارة .. عندما علم أنه أنا .. ولثمنى عدة لثمات ، ثم اقتادنى إلى الداخل للصالون ..

جاءت زوجته التى نسيت اسمها لترحب بى .. وتتناول من يدى الهدايا التى ابتعتها لهم ، ثم تتوارى داخل غرفة ما دون مقدمات ..!!

نظرت إليه ، فوجدته يبتسم وهو يضيف فى بلاهة :

ــ ههههه .. زوجتى أميمة ..

ثم راح يحكى فى مرح عن تلك الأيام ..

كيف ؟ ومتى رآها ؟ وكيف جذبت قلبه ؟ و ....

لكننى قاطعته قائلاً :

ـ أود أن أعرض عليك أمرًا .

نظر لى فى خبث وتدلى لسانه خارج فمه .. قائلاً :

ـ فتاة .. هل ستتزوج ؟

نظرت له باشمئزاز .. وأضفت :

ـ بالطبع لا ...

ـ إذًا ما الأمر ؟

تناولت الكتاب من جانبى وناولته إياه .. تناوله من يدى وأخذ يقلبه بين راحتيه ..

ثم نهض واتجه إلى غرفة مكتبه .. ليبدل عويناته بعوينات القراءة ويعود ليجلس إلى جانبى ثم يضيف :

دعه معى بعض الوقت .. ولسوف أخبرك بقصته كاملة .. لكننى أريد أن أطلع أولاً على بعض المراجع وأمهات الكتب .

ترددت قليلاً ، لكننى وافقت .. فهو لن يسرقه على كل حال .. ووجوده معى لن يفيدنى سوى تذكر خيبتى وتذكر صفوت ..

وأخيرًا جاءت زوجته .. أميمة ، وهى ممسكة بيد فتاة صغيرة ، على ما يبدو أنها ابنته ..

أخذت تنظر لى فى شغف .. وفضول واضحين ..

ــ سلمى على عمو يا هدير ..

قالتها أمها .. التى كادت أن تقبل قدميها كى تسلم على عمو .. الذى هو أنا .. لكنها أبت ذلك .

وقبل أن تضيف شيئًا قاطعها سعيد قائلاً :

ــ إبراهيم صديقى اللدود لقد حدثتك عنه كثيرًا ..

ــ نعم .. لقد أخبرنى عنك الكثير .

وجهتها إلىَّ ، فأضفت أنا :

ــ خيرًا أم ؟ ...

ــ خيرًا طبعًا .. ثم أخذت تقول عبارات مثل .. « نورتنا .. يا مرحب .. » وهكذا ..

بعد أن نهضت ، وتوارت بالداخل ..

نظرت إلى سعيد ثم إلى ابنته .. وأضفت :

ليست تشبهك ..

نعم .. نعم .. كثيرون هم من قالوا لى ذلك ..

قالها ثم أضاف :

هذا عمو إبراهيم ..

هل دخلت المدرسة ؟

ليس بعد ..

ثم أتت زوجته ، وهى تضيف :

ــ تفضلوا الشاى ..

قالتها وهى تضع أمامنا صينية وضع عليها كوبان من الشاى الساخن .

احتسيت الشاى وأخذنا نثرثر فى أشياء لا فائدة منها وانصرفت .

* * *

فى المنزل ..

أعددت لنفسى قدحًا من القهوة وجلست لأشاهد مسلسلاً ما ..

كنت أتابعه على فترات متقطعة حتى أصبحت تائهًا داخله .. فلم أعد أعلم من تزوج من ؟ ومن وجد من ؟

ومن ذلك الرجل الذى ظهر ؟.. وهو لم يكن موجودًا !

ثم يتضح لى .. أنه ابن فلان ، وقد تقدم فى العمر .. و ...

وترررررن .. ترررررن ..

عندها دق جرس الهاتف ..

فنظرت إلى ساعتى لأجدها الثانية عشر والنصف .. بعد منتصف الليل .. نهضت متثاقلاً كالروبوت .. واتجهت إلى السماعة والتقطها ومن ثم أضفت :

ــ ألووو ..

فى البداية لم أتلق أية إجابة .. فقط تناهى إلى مسامعى صوت هامس .. فعلمت أنه سعيد فدار بيننا ذلك الحوار :

ـ ألــو ..

ـ من معى ؟..

ـ أنا يا إبراهيم .. سعيد .

ـ هاااه .. ماذا وجدت ؟

ـ مجرد كتاب نحو .. على ما يبدو ، لكنه من أمهات الكتب ..

ـ ماذا ؟

ـ هذا ما وجدت .. لقد بحثت فى مكتبتى أو اااا.. ، لنقل إن هذا ما توصلت له ..

ـ الحمد لله .. يعنى فلوسى ضاعت .. ألف جنيه علشان كتاب نحو .

ـ لكنه يتحدث عن الأفعال الناسخة .

ـ الحمد لله .. يعنى فلوسى لم تذهب هباءً ما دام يتحدث عن الأفعال الناسخة ..

شكرًا يا سعيد .. شكرًا ..

ـ غدًا سوف أمر عليك وأعيدك إياه ..

ـ شكرًا .... خذه هدية .

ــ أنا لا أريد أن أحرمك من تصفحه .. تصفحه أنت أولاً ، ثم آخذه أنا .. أو أتصفحه ثم أعيده إليك .

ــ افعل ما تشاء فأنا أريد أن أنام ..

ــ حسنًا .. حسنًا ..

ــ سلام ..

ــ سلام ..

وهكذا وضعت السماعة وأغلقت التلفاز ودخلت إلى الفراش وغبت فى سبات نوم عميق ..

* * *

وأخذ يفكر ..

وضع سعيد سماعة الهاتف ، وأخذ يفكر .. ويستعيد كل خبراته المهنية .

ثم طلب من زوجته أميمة أن تعـد له فنجانًا من القهــوة الساخنة ، وتحضره له فى غرفة المكتب حيث هو .

سعيد .. يحب عمله بشـــدة ويجيده حقًا ، لهذا لم ييأس أو يكتفى بما وجد .. لكنه على قدر علمى لا يملك الذكاء مبهرًا .

أخذ الكتاب ودلف إلى مكتبه ووضعه أمامه وأخذ يقلبه يمينًا ويسارًا ، وهو يحدث نفسه ، ومداعبًا ذقنه.. وممنيًا نفسه أيضًا ..

« لا بد من وجود سر ما » .. لا بد .

كيف يضع أحد شيئًا كهذا فى صندوق ويحكم إغلاقه ؟!

بل لماذا يحكم إغلاقه ؟!

هل يخشى سرقته ؟ مثلاً ..

هل هو قيم إلى هذا الحد ؟..

هل يخشاه هو ذاته .. أم .. ماذا ؟

« كثير من الأسئلة تحتشد فى رأسه بلا إجابة واحدة »

ــ « من هذا الذى يخشاه » ؟

قالتها .. أميمة زوجته ، وقد دلفت إلى مكتبه وعلى يدها صينية ، وضع عليها قدحه الساخن .

فأجفل ... وأضاف :

ـ هل كنت أفكر بصوت عال ؟

ـ نعم وإلا .. ما سألتك .

ـ (هه) ما الذى يخشاه (هه) ؟

عاودت سؤالها مرة أخرى وهى تزيح بعض الكتب جانبًا .. كى تفسح مكانًا للصينية .

ـ لا .. لا شىء ..

قالها وتذكر أنه يحتاج إلى شريك .. شريك ليساعده فى حل اللغز ..

وربما .. صدق المثل الذى يقول .. « يوضع سره فى أضعف خلقه »..

لذا قرر أن يقص عليها ما حدث تفصيلاً .

* * *

وهكذا راح يحكى وأخذت تنصت .. وتتثاءب ..

ـ همم ..اه.. همم ..اه.. ثم ؟

ـ ثم لا شىء .. لذا قررت أن أشركك معى ، فربما كان لديك حلٌ .

تثاءبت للمرة العاشرة ، ثم نهضت وهى تقول فى لا مبالاة .. متجهة إلى الخارج :

ـ مجرد مخبولان ..

ـ من ؟

ــ صديقك هذا الذى ابتاع الصندوق بذلك المبلغ .. والرجل الذى وضع الكتاب فيه ، وأغلقه .

ــ « عندها كل الحق » .. هكذا قال فى قرارة نفسه ... أراد أن يضيف :

ــ لكن ..

ــ لا يوجد لكن .

قالتها وهى تدلف إلى خارج الغرفة .. ثم تراجعت وكأنها تذكرت شيئاً .. وأطلت برأسها وهى تهمس :

ــ ربما كان الأمر كله مقلبًا من بائع الروبابكيا ،.. كى يزيد من غموض الأمر ، ومن ثم يزيد من سعر الصندوق .

قالتها ثم انصرفت تمامًا .. وقد تركته مبعثر الأفكار ، يحدث نفسه :

ــ « ربما تكون حلت له الأمر كله » ..

« ربما وفرت عليه عناء التفكير » ، لكن حدسه يقول إن الأمر ليس كذلك .. بل .. ليس بهذه السهولة .

« أووه .. » ..

تثاءب فوضع يده على فيه وأراد أن يكمل ..

« أووه .. »

مــره أخــرى يتثاءب ، فنهض فاردًا ذراعيــه إلى الأمــام وأطفــأ الأباجورة ..

وترك كل شىء كما هــو واتجــه إلى الفراش ... مقررًا أن غدًا ليوم آخــر .

* * *

(من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم)

* * *

فـرج الفتـوة ..

« تررن .. ترّرن » ... جرس الفسحة .

تجد المدرسة قد تحولت إلى إسطبل ، ولن ترى يدك من الغبار ...

وكأن قنبلة كيميائية قد تم تفجيرها فى فناء المدرسة !

الشياطين .. أقصد الأطفال تنطلق يمينًا ، يسارًا ، تحت .. فوق .. فى كل مكان ، وكأنهم مساجين وحانت لحظة الإفراج .

أخذ سعيد كشكول التحضير ، ودلف إلى خارج الفصل .. بعد أن اصطدم بطفل ودهس آخر .. ليتجه إلى غرفة المعلمين .

يعد كوبًا من الشاى ومن ثم يجلس .. ليخـــرج الكتاب من حقيبته ويتصفحه ..

ــ ما عنوان ذلك الكتاب ؟

يسأله الأستاذ بديع مدرس لغـــة عربية هو الآخـــر ، الذى هو بديع فى سماجته ، فلا يجيبه ..

يتقدم إليه .. ويقف خلفه ، ويختلس النظر ..

ــ « كان » ...... « من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم » .. « لأول مرة تمر على هذه القاعدة » ..

يقولها وينتظر الرد من سعيد .. الذى نظر له فى سماجة وأضاف :

ــ نعم ولن تسمع ..

ـ لماذا ؟

ـ لأن ...

وقبل أن ينطق بحرف آخر تذكر أنه لا يجب عليه أن يحكى .. ثم لو أراد فلن يكون لبديع ..

فأمسك بالكتاب وأغلقه وأضاف :

ـ حصتى القادمة .

قالها وغادر الغرفة ..

* * *

فى فصل من الفصول يجلس ويفتح الكتاب ، يمر بين صفحاته .. فربما وجد شيئًا ما ..

يرفعه إلى أعلى ..

يرجه رجًا .. حتى تسقط منه ورقة ما ، لعلها تفسر شيئًا .. لكن لا شىء .

« حاله يذكرك بالبروفيسور(ليدن بروك) و(أكسيل) .. الذى سوف يدخل عليه ليخبره بأنه اكتشف سر الكتاب » ..

لكن هيهات فهذا (أكسيل) .. أما هؤلاء التلاميذ فهم كومة من الغباء المعبأ بإحكام .. ويجلسون على مقعد لا يستحقونه .

يدلف إليه طالب يدعى شوقى ..

يسلم عليه ، ويجلس على مقعد بجانبه .. يرمق الكلمات الموجودة على الكتاب ، وبصوت عال يقرأ :

« كان من الأفعال الناسخة .. ويتوقف عن القراءة .. بعد أن ينظر إليه سعيد نظرة حانقة .. تدل على أنه يريده أن يخرس .

وبالطبع يصمت شوقى ، ويبتسم فى بلاهة كاشفًا عن أسنانه التى التهمها السوس .

ــ نحن ندرس (كان) هذا العام .. يا أستاذ ؟

قالها معربًا عن عبقريته الفذة .. وكأنه يقدم دليلاً على مذاكرته وتفوقه ..

ــ « طيب يا حبيبى » ..

قالها سعيد مسكتًا إياه ..

لكنه أصر على إظهار نباهته .. فأضاف :

ــ « ما معنى فعل ناسخ » ؟.. هه ..

ــ معناه أن تخرس ..

احمرت أذن الصغير ، وصمت .. وأخذ يعبث فى حقيبته باحثًا عن الساندويتشات ..

تاااااك دششششششششش .. ثم .... دشش طاخ ... دبدب ...

« يتناهى إلى مسمعهم صوت مشاجرة » ...

ينهض (سعيد) على صوت تلك المشاجرة التى نشبت بين بعض التلاميذ ، ويترك الكتاب .

تطول رقبة شوقى ، ويده ويمسك بالكتاب .. ولا بأس من ذلك القلم الجاف ..

يقلب الصفحات ..

تقع عينه على الصفحات الخالية .. هنالك جملة غير مكتملة ..

ينظر إلى الخارج بعينيه .. إنه فرج .. فتوة التلامذة ..

هذه ليست المرة الأولى ..

يهرول وراءهم الأستاذ سعيد .. « يا ابن الـــ .... » ..

ويطلق بعض السباب .. والله لأرفدك منك ليه يا ولاد الـــ « ...... » .

« إذًا المشاجرة لم تنفض بعـــد » .. يقولها شوقى فى نفســـه ويتذكر الكتاب ..

آه الجملة .. « كان .... »

لا بد أن يكملها يمسك القلم .. تتقدم يداه ، لا بأس من نظرة أخرى .. قبل أن يخط القلم .

« كان .... فرج ..... » !

هنا يدلف سعيد إلى داخل الفصل ويراه !!

يفر الدم من وجه شوقى ، ويســـقط من يده القلم ، لقد علم أن هنالك عقابًا لا بأس به قادم .. سوف يتلقى عدة صفعات على خديه وقفاه جراء ما ارتكبه من جرم ، لكن قبل أن يحدث هـــذا .. يتناهى إلى مسامع سعيد صوت صراخ !

التلاميذ كلها تصرخ !!

يدلف إلى الخارج مرة أخرى ..

عندها .. يرى الجُل مجتمعًا حول « الترابزين » .. الخاص بالسلم !!

ومن ثم ينظرون إلى أسفل .. والبعض الآخر من المدرسين يبدو عليه الذهول .. والبعض يهرع إلى أسفل ...

يتقدم هو الآخر ويقف بجانب بديع المدرس إياه ، وينظر إلى أسفل ..

لم يصدق عينيه .... لم يصدق ما رآه !

لقد كانت جثة فرج .. التلميذ .. ممدة على الأرض بلا حراك والدم يتدفق منها بغزارة !!

فرج ، الذى كان منذ دقائق يفتعل المشاجرة .

ـ كيف حدث هذا ؟

ـ لا أعلم .. فجأة رأيته يستند بيده على « الترابزين » .. ويثب ليقف عليه ، ومن ثم يقفز لأسفل .. دون مقدمات !

* * *

ليلة عجن ..

يمسك سعيد بذقنه ثم يحكها مرتين ويقول وهو يقف على باب عمارته :

لا أدرى يا إبراهيم .. لقد حاولت .. بحثت .. لكن لا شىء .

قالها وهو يناولنى الكتاب .. ثم أضاف وهو يأخذه منى ثانية :

ـ « ربما لو تركته معى بعض الوقت لاتضح الأمر لى » ..

بالطبع وافقت .. لأنه بكل تأكيد لن يطمع فى سرقته .

آمل أن يكون له قيمة .. « وألا تكون نقودى قد ضاعت هباءً منثورًا » ..

قلتها وأنا أعلم أن عملية النصب قد تمت فى بنجاح ساحق ، لا مثيل له ، وبالطبع تمنيت أن أرى ذلك الدكش .

ـ أستاذ سعيد ..

ـ من ؟

قالها شخص ما ورد سعيد عليه بهـذه الأخيرة .. فنظرت خلفى أنا وسعيد كى نرى صاحب الكلمات ..

وجدته شخصًا ضئيل الحجم .. خط له شخص خطًا دقيقًا بالقلم وسماه هو « شنب » ..

تقدم إلينا .. ثم صافح (سعيد) فى حرارة بالغة ..

تبين لى بعد ذلك أنه زيزو .. زيزو القهـوجى .. الــذى يجلس سعيد عنده ..

« الكثير من القبـــلات والعزومات على غــرار .. » « هاستناك » .. ثم تبين لى أن هناك فرحًا ، وتبين لى أيضًا أنه خاص بأخى ذلك الزيزو .

ثم تبين لى أن (سعيد) ســـوف يذهب .. ثم تبين لى أننى أنا الآخــر سوف ..

* * *

« أنا بقيت عامل دماغ »

« تمام .. تمام ... ودخان »

* * *

وهكذا تجدنى و(سعيد) .. جالسين على مقعدين من الخشب ونحضر فرح أخى زيزو القهوجى ..

وبدأت الأغانى تنهال على مسامعى !

* * *

« مبقاش فيه بليلة »

« تمام ... تمام ... نشربو دخان »

* * *

يا له من ذوق رفيع حقًا !

* * *

وبدأ زيزو ، الذى ظهر من مكان ما .. فى توزيع لفافات تبغ .. تبين لى بعد ذلك أنها ممنوعات .. « حشيش وغيره الذى لا أعلم كنهه » !!

« هذا الرجل ينتوى أن يبيت الجميع فى الحجز بكل تأكيد » .

* * *

« تيت ... تيت ...اااه... »

* * *

لم يمر سوى القليل .. وبدأ الرقص !

الكل يحاول ..

فلا يخرج منه سوى شىء واحد لا يسمى سوى « عجن » !

الكل « يعجن » .. ثم « يعك » .. ثم « يعجن » .. ثم تخرج من مكان ما « مدية » !!

لا بد وأن هنالك مشاجرة على وشك البدء ... كدت أن أنهض كى أمنع تفاقمها ..

لولا أن منعنى سعيد وأمسكنى من كتفى قائلاً :.

ــ « إنها ليست » خناقة « .. هذه هى العادات ها هنا .. »

ــ « غريبة هى العادات هنا حقًا » !

قلتها واسترحت على المقعد ، نظرت فى ساعتى لأجد الوقت لا يمر ...

تناولت الكتاب من يدى سعيد .. لأتصفحه فى ملل ، ربما يقتل القليل من الوقت ....

« كان » .... « إنها من الأفعال الناسخة الــ ..... » ...

ممل ..

أمر بين صفحاته .. فأجد أن هنالك جملة قد تكررت مرارًا ، لا أعى منها حرفًا واحدًا ..

« من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم » !!

وهناك أيضًا صفحات فارغة .. كل ما فيها هو بعض الجمل التى تحتاج إلى تكملة ..

« كان .... » ثم نقاط بجانبها ...

أخرجت من جيوب سترتى قلمًا ، وراقت لى الفكرة .. سوف ألعب هذه اللعبة ..

كأننى ألعب الكلمات المتقاطعة ..

أمسكت بالقلم ، وفكرت فى الكتابة .. « مم ... مم » ...

وأخذت أخط بالقلم ...

« كان ... الفرح ..... »

وقبل أن أكمل ...

(نن ننننننننننن) !!!!!!!!!

* * *

انطفأت الأنوار وتوقف المولد الكهربى تمامًا !! ، وصمت « الدى جى » وتعالت الأصوات وصارت الدنيا ... « كحل » ! فأغلقت الكتاب ..

ــ « لقد انقطع التيار الكهربى » ..

قالها شخص ما .. لا نراه .. فرد عليه شخص آخر لا نراه أيضًا .

ــ « سوف أتصل كى أحضر مولد كهرباء آخر ربما العيب منه » ..

ــ لا لا إنه من العمومى ، لقد انقطع عن الجميع لا بد أنه .....

وبالطبع .. لم أنتظر أنا حتى يولدوا الكهرباء وأحضر سبوعها ..

فقررت الانصراف وسعيد معى طبعًا .. فلن يرانا أحد أو يراه إن صدقت القول ..

« فليس هنالك فرصة لننصرف فيها أفضل من تلك » ..

نهضنا سويًا .. وفى سلاسة .. رحنا ننسل من بين الجمع الواقف ...

نصطدم بهذا ثم ذاك ثم انصرفنا والحمدلله .

* * *

على باب العمارة التى يقطن بها سعيد تركته ، وانطلقت بسيارتى إلى منزلى .

دلف سعيد إلى شقته وجلس على مكتبه .. وأمسك بالكتاب .

ــ هل عدت ؟

قالتها زوجته .. وهى تحك رأسها ، وتنظر إلى الساعة لتجدها الواحدة صباحًا .

فأجابها ، وهو يتثاءب :

ــ أووو .. منذ دقائق .. عذرًا حبيبتى لقد جعلتك تنهضين ..

ــ لا عليك ... لم أنم بعد !

ــ واضح !!

ــ هل تريد شيئًا ؟

ــ شكرًا... سوف أقرأ قليلاً ... عودى أنت للنوم .

نظرت إلى الكتاب الذى بين يديه وأضافت :

ــ « يا دى الكتاب اللى هيهوسك » ..

ثم تقدمت قليلاً لتمسكه من يديه .. وتقرأ فيه بصوت مرتفع :

ــ « ترفع المبتدأ وتنصب الخبر » ..

لقد قرأت ذلك منذ سنين فى منهج اللغة العربية ، لكننى لم أفقه منه شيئًا .. فأنا منذ زمن وأنا أبغض ذلك النحو ... واللغة العربية كلها .

ــ وزوجك مدرس لغة عربية ... ما شاء الله !

نظرت له ثم قالت :

ــ وماذا فى ذلك ؟!

ــ لا شىء .. لا عليك يا حبيبتى ... عودى أنت إلى النوم فحسب .

فررت الكتاب سريعًا .. فلمحت تلك الصفحات الفارغة تمامًا إلا من كلمة .. « كان .... »

ثم نقاط بعدها .

لا تعلم ما الذى جعلها تمسك بالقلم ، وتخط بجانبها كلمة .. « التلفاز » ؟!

ــ « ما الذى تفعلينه ؟ »

ــ « أكمل الفراغات » ... هههه ...

قالتها .. وابتسمت ابتسامة بلهاء ، وألقت بالكتاب على المكتب .. ودلفت إلى الفراش .

ولو أنه التقط المزهرية وقذفها بها .. من فرط سماجتها ، لكنه أمسك بأعصابه ولم يفعل .

أمسك بالكتاب مرة أخرى وفتحه .... وأخذ يقلب بين صفحاته ...

« هنالك عبارة واحدة متكررة فى كل صفحاته تقريبًا » ..

(من امتلك الكتاب فعّل النسخ فى المعجم)

لا بد أنها ملحوظة ما .. وذلك لوجودها فى كل صفحة بالكتاب ، لكن ما معنى ذلك ؟

هولا يدرى ..

ما الذى تشير إليه ؟

لا يدرى ... لا يدرى حقًّا ..

ــ « لم تنم بعد » ؟

قالتها زوجته وهى تقف على باب الغرفة

نظر إليها فى أسى ثم أضاف :

ــ الآن ..

« هو يعلم أنها لن تنام ما دام هو مستيقظًا » ..

وهكذا أطفأ الأنوار ودلف معها إلى الفراش مؤجلاً كل شىء إلى يوم آخر .

* * *

أميمة السيد جاد الله ...

أميمـــة ..

محاسبة شابة ، لكنها لم تحب العمل قط .. لذا لم تمارس المهنة أبدا ..

رقيقة هى !!

هكذا يقول زوجها سعيد

متى رآها أول مرة ؟

فى المدرسة .. مع تلميذة تدعى ريهام حسبها ابنتها ، لكنه علم أنها ابنة جارة لهم مريضة ..

خفق قلبه حينها ، وأشار بأوردته إلى سعيد أنها هى .. زوجة المستقبل .

ولم يمر سوى شهور ، وذهب إلى والدها فى بيتها .. الذى علمه من ريهام الصغيرة .

لم يكن الأمر صعبًا على الإطلاق ..

ذهب إلى الصغيرة فى فصلها .. ومن ثم بدأ فى استجوابها ..

من هذه يا ريهام ؟

مس أميمة ..

ومن هى مس أميمة ؟ .. ومن ثم أين منزلكم ؟....

وهكذا ذهب إلى المنزل دون صعوبة تذكر .

أما هى فقد رأته ، ورأت نظرته الخجـول إليها ، فقالت فى نفسها إنه هو .. صحيح أنه ليس وسيمًا ، لكن لا بأس به كرجل ..

وقالت إنه سوف يسلم .. نظرة ثم أخرى ، وسوف يأتى إليها بكل تأكيد ..

خصوصًا عندما أخبرتها ريهام بكل شىء دار بينها وبينه فى الفصل ..

لم تفاجأ عندما دق الباب وفتحت لتجده .... كل ما فعلته أنها تظاهرت بالخجل ، وهرعت إلى الداخل لتخبر والدها أن هنالك من ينتظره ويريده بالخارج ...

ابتسمت هى فى ثقة عندما دلف إليها والدها وهو يقول :

عريس ..

لقد كانت تعلم ... لقد تنبأت بهذا مسبقًا .

وهكذا جاءت اللحظة وأصبحا زوجين فى منزل واحد ..

* * *

أما ما حدث معها ..

فهو باختصار كما قصته لزوجها كالآتى ..

عندما دلفت معه إلى غرفة النوم ..

لم تستطع النوم !

لا تعلم لما ؟....

ربما الأرق ....

حاولت جاهدة ، لكن دون جدوى ..

نهضت جالسة على الفراش ، ونظرت إلى زوجها الذى تكوم إلى جوارها .. ثم إلى ساعة الحائط ..

لتجدها الثالثة صباحًا ..

أدخلت قدميها فى خفها ، ونهضت مترنحة ذاهبة إلى الحمام .....

مرت عبر الصالة .. « الضوء خافت » .. مما يجعل للأشياء ظلاً مرعبًا ...

هنا توقفت !!

تراجعت خطوتين إلى الوراء ... ونظرت مرة أخرى !!

عندها صدمت ...

فلم يكن التلفاز فى موضعه على المنضدة !

لقد ذهب .... بشكل أدق .. اختفى !

بكل تأكيد .. فركت فى عينها مرة .. مرتين لتتأكد أنها لا تخدعاها فلم تجده .

حينها أفاقت تمامًا .

هرعت هنا ثم هناك بحثًا عنه ، لكن لا شىء !

إذًا .. هنالك لصٌ .

أسرعت إلى زوجها ، الذى غط فى سبات نوم عميق ..

أخذت تلكمه عدة لكمات فى جانبيه ، ثم بطنه ، ثم آآآيى

ــ ما هذا ؟.. هل جننتى ؟

قالها زوجها بعد أن استفاق وجلس متوجعًا ..

نظر إليها ليجدها ترتعد ....

فارتعد هو الآخر .. كأى خائف يحترم نفسه ...

تردد فى سؤالها « ماذا هنالك ؟ »

هو لا يريد أن يعرف .... أى رجل فى مكانه عليه الشعور بالفخر لأنه الرجل « فهى تحتاجه الآن »

« انهض »

قالتها بلهجتها الآمرة ثم أضافت :

(التلفاز .... حرامى)

ماذا ؟

« هنالك حرامى بالبيت »

لم ينتظر أكثر ليثب من الفراش صارخًا

ــ « أين ؟ »

وهو يتناول مسدسه من الدرج ويسير بخطا مرتعدة ..... يتقدم خطوة ويؤخر اثنين .... متجهًا للخارج متوقعًا الأسوأ !

* * *

أضاء الأنوار وبدأ يرمق المكان كله بحذر ...

كل شيء على ما يرام ...

أراح يده قائلاً :.

أين ؟ ... أنت تخرفين يا حبيبتى

لا .. أنا لا أخرف

رفع يده مرة أخرى ممسكًا بالمسدس قائلاً :

أنا لا أحب هذا المزاح يا أميمة ... إن كنت تمزحين ...

بترت عبارته وهى تقسم له قائلة :

والله لا أمزح ..

إذًا أين هو ؟ هل رأيتيه ؟

لا .... لم أره ، لكنه سرق التلفاز .

أراح يديه مرة أخرى ونظــر تجاه التلفاز فلم يجده !!

نظر هنا وهناك ، لكن لا شيء ، دلف إلى جميع الغرف .. قلب الشقة بأكملها بحثًا عنه لكنه لم يجده !

ربما نعيد إصلاحه ؟

هكذا قال مقنعًا نفسه بعد عناء البحث ، فأجابته بتوتر قائلة :

لم يكن به شيء

إذًا أين ذهب ؟

تم سرقته ... وأنت لا تصدقنى .

كيف سيتم سرقته ... هل هناك لصٌّ يفكر بمثل هذا الغباء !

يسرق التلفاز ، ويترك النقود والأشياء الخفيفة الأخرى من مصوغات وغير ذلك ... حرامى (غاو شقى) .. ثم دعينا نفكر بالمنطق .. كيف سيسرقه ، هل سوف يحمله على كتفه ثم يهبط به المواسير من رابع طابق ، لأجل ماذا ؟ حتى لو أراد بيعه فلن يدر عليه مالاً !!

قال سعيد ما قال ثم ابتسم وأردف :

إلا إذا كان والدك أراد أن يستعيد هديته ..

قالها فغمزته بكتفها فابتسم مرة أخرى بعد أن توجع وأضاف :

ثم إن لا هناك نافذة مفتوحة أو مكسورة ولا باب الشقة ذاته به خدش !

(لا بد أنك أعطيتيه لأحد ونسيتى) ..

قالها ودلف إلى غرفة النوم ليكمل نومه ... وتركها هى تأكل أظفارها بالكامل .

* * *

السيد جاد الله ...

أنت لا تعرف عم سيد أو السيد بلام التعريف كما يحلو له ..

لذا سأصفه لك جيدًا .

مجرد عجوز باسم يتدلى كرشه أمامه (ثلاثه أمتار) .... ، كأنه من قبيلة (......)

لا أذكر اسمها الآن .. التى يتم اختيار قائدها عن طريق كرشه !!

صاحب أضخم كرش هو من يفز بالرئاسة .

لو كان عم السيد منها لفاز باكتساح .. تناثر الشعر الأبيض على جانبى رأسه ..

ونسى أن يكون متواجدًا فى الوسط فسار بلا شعر فى المنتصف !

لم يترك مرضًا إلا واتخذه صديقًا له ...

يبدأ عمله فى العاشرة والنصف صباحًا ، ويغلق فى العاشرة والنصف مساءً .. نعم يمتلك محال ... أظنك قد خمنت ذلك ...

اثنا عشر ساعة كاملة يقضيها وسط بضاعته .. التى هى شىء من كل شىء « تليفزيونات .... ثلاجات ..... كاسيتات ... إلخ » وغير ذلك .... فلديه من كل شىء قطعة واحدة .... ينتظر بيعها كى يأتى بأخرى مثلها ليبيعها وهكذا .

لا يوجد لديه مخزن فهو دائمًا ما يقول « أبيع أولاً بأول » ....

لديه بنت تدعى أميمة تزوجت منذ « .... » لا يدرى متى تزوجت ، لأن ذاكرته أصبحت واهنة فلم يعد يذكر شيئًا على الإطلاق ، لكنها تزوجت فحسب هذا هو ما يهمه في الموضوع كله ...

تزوجت من شخص يدعى سعيد .. « ابن حلال » كما يقول عنه .. يستحقها ..

يعمل مدرسًا تقريبًا لقد نسى هذه أيضًا ، لكنه يذكر أنه أعطاهم شيئًا من محاله كهدية في زواجهم ....

على هذا يظل عم السيد في متجره وحيدًا لا تعرف فيما يفكر ولا أية ذكريات يسترجها ، يجلس واضعًا تلك البطانية العتيقة على كتفيه كي تقيه من البرد ..

ويستمع إلى المذياع المتهالك ، لكنه يعتز به كثيرًا لأنه هدية من زوجته التي رحلت إلى بارئها وتركته لهذه الدنيا وحيدًا .. خاصة بعد زواج ابنته ..

موقد الكيروسين بجانبه يبعث الدفء والطمأنينة إليه ...

ينهض ليصلى العشاء في متجره ثم يخرج ليطمئن على البضاعة التي يضعها بالخارج .. هذه هي الثلاجة .... كاسيت ... نعم وهذه المروحة »

أين التلفاز ؟!

آه .. لقد باع إياه لشخص ما ، لقد نسى ، لكنه تذكر على كل حال ...

يطمئن على البضاعة ، ومن ثم يدلف للداخل ويعود ليدثر بالبطانية ...

تمر ساعة أخرى وينظر إلى ساعة الحائط ، ليراها تدنو من الحادية عشر مساءً .. لقد تأخر اليوم سوف ينهض الآن ليلملم حاجياته ، ومن ثم ينصرف ..

هنا يرى ذلك الرجل ... يدعــو الله أن يكون زبونًا ويشترى منه أى شىء .

يرمقه من الداخل بعين ناعسة ... عندها يرى الشخص يتقدم إلى داخل المحل ببطء ..

قائلاً :

ــ سلام عليكم ..

ــ وعليكم السلام ..

يردها عليه ولا يزال جالسًا على مقعده ، فينظر إليه الرجل ، ويضيف :

ــ أريد التلفاز المعروض بالخارج ..

عندها ينهض عم السيد متثاقلاً ويضيف :

ــ تحت أمرك ..

ومن ثم يتقدم معه إلى الخارج ويقول :

أين ؟

هذا هو ..

يقولها الرجل وهو يشير بيده على الرف الذى وضع عليه التلفاز .

هل خانته ذاكرته ؟!.. لقد كان لديه تلفاز ، لكنـــه ليس ذلك ... ثم ... إنـه ...... ثم ...

إنه لم يكن ذلك النوع .. لأن ذلك النوع لم يعد موجودًا ، لأن الشركة المصنعة لم تعد تنتجه أساسًا!!!

نعم إن ذاكرته أصبحت واهنة إلى حد كبير ، لكنها مهنته ، ثم إنه يذكر هذه المعلومة جيدًا !!

* * *

كان فى شقتى جلست وسعيد نرمق الكتاب ...

سعيد الساعة أصبحت الحادية عشر مساءً ...

وماذا فى ذلك ؟...

ـ ألا تريد أن تنام ؟

ـ لا ...

قالها وأضاف :

ـ هذا الكتاب بكل تأكيد ... وهذا ما أعلمه أنه يحوى سرًا كبيرًا

ـ يا لفصاحتك وعبقريتك ... معقول ... إنه السر ؟

ـ لا أعلم .

« هذا الشخص غبى لا محالة » .. قلتها محدثًا بها نفسى ، ثم تثاءبت للمرة المائة ونهضت فاركًا فى عينى وأضفت :.

ـ لن أستطيع المقاومة أكثر ، سوف أدلف إلى الفراش وأنت حينما تتوصل إلى ذلك السر « أيقظنى » .

ـ حسنًا

« هذا الشخص سوف يموت مخبولاً بسبب ذلك الكتاب ..

أمسك سعيد بالكتاب وفتحه على الصفحات الفارغة ..

وأخذ يفكر .... وقعت عينه على قصة ملقاة على المنضدة ...

« المنزل الملعون » ..... هبط بعينه على اسم المؤلف .. « هيثم السلحدار » ..

رفع من طبقة صوته كى أستمع :

ـ أنت تقرأ هذا الهراء .. « الكاتب ليس معروفًا حتى » ..

لم أعره اهتمامًا وأغمضت عيناى ...

* * *

هيثم السلحدار ...

لم يكن هيثم السلحدار كاتبًا بارعًا ، لكنه كان يحاول أن يحشر نفسه وسط الجموع التى تكتب ، لربما كما يقول « ضربت معاه » .

ووجد لنفسه مكانًا ... تزوج من امرأه تدعى رباب ... هى من يحمسه ويدفعه إلى الأمام ... أتخذ من هذه الشقة عشًا للزوجية عمارة لا بأس بها على الإطـــلاق ، لكنه يرتاب فى أحـــد جيرانه .... منظره يوحى بأنه « ابن ناس » .. على حد قوله ، لكنه أرمل ماتت عنه زوجته وابنته ......

بكل تأكيد هذا الشخص هو أنا إبراهيم فتحى ...

(آسف على الدخول فى الأحداث) أدعك تكمل !!

كان يعطيه نسخة من القصة التى ينشرها على سبيل الهدية ، لأنه جاره على كل حال .

لو أردت أن أصفه لك لقلت لك : إنه أشبه بالفنان الراحل عبد السلام النابلسى ..

لكنه ودود ..

قصته باختصار كما تقولها زوجته :

أنه كان يجلس على مكتبه يكتب قصة جديدة من قصصه تلك التى يكتبها ، ثم نتشنج قليلاً ... واحمرت عيناه ... ونهض ليخرج من غرفته ليجلس على الأريكة .. ثم طلب منها بعضًا من الحبوب المهدئة ...

نهضت لتحضر كوب الماء والحبوب عندها وقفت غير مصدقة عينيها !

رأته يهتاج ويعوى ألمًا ... ثم يسقط على الأرض ... ثم ينهض قابضًا بيده على رقبته ... ، كأنه يخنق نفسه ثم « فرووو » .. انفجر الدم من فمه وأنفه كالنافورة ... ثم سقط على الأرض وسكنت حركته إلى الأبد !!

وسقطت منها الصينية !!!

* * *

اكتشاف صغير ..

ترن ترن

ـ ألوو

ـ بابا

ـ حسنًا ... كنت سأتحدث معك

ـ أميمة صغيرتى كم أشتاق إليك

ـ وأنا أيضًا يا بابا

ـ أريد أن أتحدث إليك

ـ وأنا أريد أن أسمعك .... تعرفين من جعلنى أتصل بك ؟

ـ سعيد

ـ لا ... لِمَ قلت سعيد ؟.... هل هنالك خطب ما ؟

ـ نعم

ـ وما هو ؟ هل هنالك مشكلة بينكما ؟

ـ لا .. فقط التلفاز !

ـ التلفاز ... إنه هو من جعلنى أتصل بك .. أتذكرين التلفاز الذى أعطيتكم إياه فى زواجكم كهدية ؟

ــ هذا ما أريد التحدث فيه يا بابا .... إنه هو ... ذلك الداهية ... لقد اختفى !

ــ اختفى .. إنه ..

صمت الرجل قليلاً ولم يكمل عبارته ، ورتب أفكاره قبل التحدث فى أى شىء ، وقرر أن يصارح زوجها بما دار فى ذهنه .

ــ حسنًا يا حبيبتى ، وبالطبع ماركته (............)

ــ ذاتها يا بابا ... نعم هى أقسم لك أنه اختفى ، وسعيد يصر على أننى قد أعطيته لأحد ونسيت أو أننى أعيد إصلاحه ..

أقسمت له ، لكنه قال إننى صرت مهملة وأخرف وأختلق الأشياء اختلاقًا ..

ــ حسنًا حسنًا أعطيه السماعة حتى أحدثه .

ــ لا ... ليس هنا

ــ إذًا أين ؟

ــ عند صديق له يدعى (حاجة فتحى)

ــ سوف أتصل به لاحقًا إذًا .. أقول لك شيئًا

ــ أعطينى هاتف صاحبه هذا إن كان عندك ، وسوف أتصل به هناك .

* * *

السر ينكشف ..

وهكذا جلس سعيد يفكر فيما حدث .....

أخذ يردد كالمعتوه :

(التلفاز) ...... (التلفاز)

وترك أمر التلفاز وأمسك بالكتاب .....

يقلب بين الصفحات ..... ويردد :

(من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم) ..

يتنهد ثم يضيف :

هذه الجملة كثيرة جدًا داخل الكتاب ، لا بد من لغز ما ..

(من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم)

لكن ما معنى النسخ فى المعجم ؟

سأل السؤال لنفسه وتعجب لأنه لا يعرف !!

مدرس لغة عربية ولا يدرى ما معنى مصطلح (النسخ) فى معجم اللغة العربية ..

هرش فى مؤخرة رأسه وكأنما يبحث داخلها .... هنا تذكر أن حقيبته معه ، وبها (المعجم) الخاص به .. (معجم) صغير محمول لكنه يفى بالغرض على كل حال ....

لا بد أنه قد شعر بأنه فى طريقه إلى الحل .

« فى شقتى يرتع سعيد بلا تحفظ فهو صديقى ، لذا فمن كامل حقوقه أن يفتح ثلاجتى ويلتهم أكلى فى نهم ، الفرخة الناضجة التى نمت أحلم بها بين أسنانى وبالطبع دخول حمامى ، ومن ثم الكثير من قشر اللب على الأرض على السجاد الخاص بى .... فهو صديقى ويحق له هذا .... بكل تأكيد .....

فلا ألومه إن دق جرس الباب ودلف إلى الداخل أبو لهب ومعه إحدى الجوارى ليرقصن فى شقتى ..... فهذا كله حقه ما دام صديقى وأنا .... وللحسرة صديقه » ..

« ترن ترن » .. « ترن ترن »

جرس الهاتف يرن بالحاح فى شقتى وأنا نائم كوسادة فى فراشى ، لكن سعيد طبعًا يقظ ، وبكامل عافيته فأنا أكاد أقسم أنه لولا وجوده فى شقتى لما ظل ساهرًا .

يقظ .. يشرب القهوة .. وينظر إلى الهاتف فى فضول ثم ينادينى بصوت لا يكاد هو أن يسمعه ، لأنه بالطبع فضولى ولا يريدنى أن أنهض ويريد هو أن يجيب ، (لا بد أنه حسب أننى عربيد ومن الذين يتحدثون إلى الفتيات إياها !)

ينهض هو واقفًا ويلقى نظرة على وأنا فى فراشى ثم يبتسم فى خبث ... (هكذا أتخيله) ، ومن ثم يتقدم بخطوات واسعة نحو الهاتف ويرفع السماعة ثم :

ــ ألوو يا جميل

ــ ألوو .. (صوت رجل وقور)

ــ من معى ؟

ــ السيد فتحى معى ؟

ــ لا يوجد أحد هنا بهذا الاسم ... أتقصد إبراهيم ... إبراهيم فتحى ؟

ــ سعيد ... أنت سعيد .. أنا السيد جاد الله حماك !

ــ أهلاً عمى ما الذى جعلك تتصل بى هنا ؟ أهنالك خطب ما ؟

ــ لا أبدًا .

ــ إذًا .. ماذا هنالك ؟

ــ التلفاز !!

ــ لا إله إلا الله ..

قالها فى نفاد صبر .. ثم أضاف :

ــ قد قلت لأميمة إنها تهذى لقد جنت ....أ.... أقصد أنها ربما نسيت ما إن كانت تعيد إصلاحه أو أعطته لـــ.....

قاطعه الرجل قائلاً :

ــ لا .... لم يحدث شىء من هذا ..

ــ و.........

ـ التلفاز عندى فى الحانوت !!

ـ عندك ....أهى ؟ أأ.....

(قاطعه مرة أخرى) :

ـ ..... لم تعطنى شيئًا .. بكل تأكيد ، وإلا كنت أخبرتك ..

ـ إذًا كيف وصل إليك ؟

لا أعلم .... فأنا ... (وقص عليه ما حدث بالتفصيل)

ـ بالطبع يا عمى أنت تعلم مواصفات التلفاز الخاص بنا جيدًا ؟

ـ بالطبع .. لأ ننى من أهداكم إياه .. ثم هذه مهنتى ...

ـ نعم .... أنا لا أقصد أن أشكك فى .. على كل سوف آتى إليك وأستعيده فى أقرب وقت ..

ـ وأنا أنتظرك .. إن شاء الله ..

ـ إن شاء الله ..

وهكذا أغلق سماعة الهاتف وأخذ يقفز فرحًا ، وهو يردد :

« وجدتها .... وجدتها » ، وكأنه أينشتاين ..

ظل يصرخ ويصرخ ومن ثم برووم ، لكمة فى بطنى ثم ..

(أيييييييييى) !!

نهضت صارخًا .. لأجده يجثو على قدميه على مقدمة الفراش ويحملق في وجهي كالمعتوه ، وهو يصرخ قائلاً :

« وجدتها ..... وجدتها » ..

فركت عيني ثم سألته قائلاً بعد أن تثاءبت :

ــ أ أ و وو ... ما هي التي وجدتها ؟

ــ الشفرة ..

ــ شفرة ؟!

ــ الكتاب !

ــ كتاب؟!

ــ هل أصبت بالزهايمر ؟ قالها ثم أضاف ...

ــ الكتاب « كان » .. بائع الروبابكيا ..

هنا بدأت أستفيق وأسترجع ما كان وما يحدث فنهضت جالسًا ثم قلت :

ــ هه .... ما الذي حدث ؟.. ما الذي كنت تقوله ؟

ــ تعال ..

قالها وهو يجرني جرًا من كم المنامة إلى الخارج .....

أجلسني أمامه ثم بدأ يتحدث :

ــ وجدتها ..

ـ ما التى وجدتها ؟

ـ السر ... سر الكتاب ....

وبعدها بدأ فى الشرح :

ـ (كان .... تتيييييييت تيييت يتتتى تتى الخبر وا. تيتتيييى المبتدأ)
ومن ثم (الخبر ... تتييت تيتييييت يتيتتى يتتت المبتدأ) ، ها هل فهمت ؟

نظرت له نظرة بلهاء ومن ثم أجبته :

ـ أنا لا أفهم شيئًا .. ثم إننى لم أكن أحب اللغة العربية أساسًا .

ـ إذًا .. أعيد عليك الشرح ..

وبدأ فى إعادة ما قال مرة أخرى :

ـ (كان .... أداة نسخ فهى تنسخ ا التيييييييت تيييت يتتتى تتى الخبر والتيتتيييى المبتدأ .. الخبر ...)

ـ كله كلام عادى ليس فيه شىء فما الذى اكتشفته يا أديسون ؟

ـ لقد ..... كان..... الخبر ..... إذًا له .... المعجم ..

« لم أسمع شيئًا لأننى كنت أنظر على الثلاجة التى تركها مفتوحة .... ومن ثم ..

بقايا تقشير اللب على السجادة ..

« هذا الرجل جعل من شقتى إسطبل يرتع فيه » ...

ـ هل فهمت ؟

ـ نعم ... نعم ... فهمت .

قلتها وأنا لا أفهم حرفًا ثم وقبل أن أضيف شيئًا قاطعنى قائلاً :

ـ إذًا ما الذى فهمته ؟

ـ هه ... (سؤال لم يكن متوقعًا) ... احمرت أذناى وأخذت أعبر له عما فهمته :

إن الخبر خبر كان و... ظل .... بات .... فات مات .... ولم أجد مناصًا سوى أن أخرس ، وأنتبه له ، لأننى بمعنى الكلمة أخذت ألوّش .

نظر لى فى غباء وأضاف :

ـ كان من الأفعال الناسخه وهى أفعال ترفع المبتدأ وتنصب الخبر فيسمى المبتدأ اسمًا لها ويسمى الخبر خبرًا لها .

سكت ونظر لى فوجدنى منصتًا فأضاف :

ـ هل فهمت شيئًا ؟

« هذه المرة لن أجعله يستريح » نظرت له فى بلاهة وأجبته :

ـ بالطبع لا لأننى كما قلت لا أحب النحو ولا العربى ، ثم أين هو السر فيما قلت ؟

ـ السر ليس فيما قلت !

كدت أصفعه وتنفلت يداى ، لكننى أمسكت أعصابى وأضفت :

ـ ضاغطًا على أسنانى : « ولماذا إذا تصدع رأسى بذلك الكلام الفارغ وتحكى لى ذلك كله ؟.. أرجو أن تلخص لى .. لأن الضغط قد بدا يرتفع وبدأت أفقد أعصابى..

ـ « هل رأيت هذه الجملة ؟!

قالها ، وهو يشير إلى جملة ما فى الكتاب ..

أخذت أتهجأ الكلمات بصوت هامس :

ـ (من امتلك الكتاب فعل النسخ فى المعجم) .. نعم أراها ... ماذا فيها ؟ لقد رأيتها مسبقًا ...

ـ ألم تفهم منها شيئًا ؟

حككت رأسى مرتين دليلاً على غبائى ومن ثم قلت :

ـ لا ...

نظر لى ، كأننى حمار وحشى لا يفقه شيئًا وقال بافتخار :

ـ لقد لاحظت أن تلك الجمله قد تكررت مرارًا ها هنا ، فى البداية لم أفهم ثم بحثت عن تفسير لها داخل الكتاب فلم أجد ، لكننى وجدت شيئًا آخر

ـ وما هو ؟

أمسك بالكتاب وأخذ يقلب فى صفحاته ثم توقف عند آخره وناوله لى وهو يضيف :

ــ « انظر إلى هذه الصفحات » ..

وبدأت أنظر وأخذ يكمل :

ــ هذه الصفحات الخالية سترى فيها جملاً مكتملة وجملاً لم تكتمل !

ــ صحيح ... وماذا فى ذلك ؟.... لقد أكملت أنا نفسى هذه الجملة أثناء وجودنا فى فرح صديقك « .... » ممم ....لا أذكر اسمه الآن .

ــ نعم .... نعم .... عرفت هذا ..

ــ وكيف عرفته أيها الكاهن .. يا « أنوستردامِوس » ؟

ــ « سوف أخبرك بكل شىء »... لكن أولاً أقسم لى على أن ذلك سوف يكون سرًا بينى وبينك ولن يطلع عليه أحد ... وإلا كان مصيرنا السجن أو السرايا الصفراء لا محالة !!

نظرت له فى غير فهم ، لكننى أقسمت له ألا أخبر بما سيقوله أحدًا طالما أراد ذلك .

عندها جلس وأوقد لفافة من التبغ وسحب نفسًا عميقًا ونفخه فى الهواء

ثم أضاف :.

ــ لأمر يا عزيزى بدأ بعد أن جلست ورتبت أفكارى .... سوف تجده غريبًا ... أعلم هذا ... لن تصدقه .... محتمل ، لكنه كذلك حقيقى ...

لقد اتصل بى والد أميمة زوجتى وقال لى إن التلفاز الخاص بنا « عنده » فى محاله !!

وهذا كان بداية الخيط .. فكيف وصل إلى هناك ؟

ــ نعم .. صحيح

ــ لقد حكيت لك القصة التى حدثت مع أميمة عندما اختفى التلفاز .

ــ هممم .. نعم أذكر هذا جيدًا ، وقلت أنت إنها تخرف .

ــ نعم ، لكنها لم تكن كذلك .... لأن هذا قد حدث بالفعل ..

سحب نفسًا عميقًا آخر ونفخه فى الهواء ، ثم أضاف :

ــ التلفاز اختفى من الشقة ليذهب إلى المكان الذى جاء إلينا منه .. بالأدق الذى « كان » فيه .

قالها ضاغطًا على كلمة (كان) ثم أضاف « بعد أن نفث عدة أنفاس وزفرها فى الهواء ليعمينى » :

ــ هذه الجملة .. « يقصد » .. (من امتلك الكتاب) .. هى سر لغز الكتاب .. فمن يفسرها .. يكتشف أن لديه كنزًا و لم يكن يدرى !

ــ كيف ؟

ــ سأخبرك .. أصغ لى جيدًا ..

قالها ، فأصغيت السمع واقتربت منه أكثر ..

تنهد طويلاً .. ثم راح يفسر لى كل شىء :

ــ الجزء الأول من الجملة يفسر نفسه (من امتلك الكتاب) وهو نحن أنا وأنت .

صحيح ، والجزء الثانى ؟ (فعل النسخ فى المعجم) ..

هذا ما أرهقنى حتى توصلت إليه ... لقد أمسكت بذلك المعجم الصغير

« والتقط من جانبه كتيبًا صغيرًا بحجم اليد وهو يضيف :

ـ « وبحثت فيه عن معنى النسخ » كلمة « النسخ » ..

فوجدت عدة معانٍ لم يصلح منها سوى معنى واحد فقط وهو « الإزالة »

لكن هنالك شرط لاحظته .. لذا أعطيتك هذه الصفحات لتراها .

ـ « ما ... ما ... هو ؟ »

قلتها وأنا غير مصدق ، لكنى أريد السماع رغم ذلك .

هــذه الصفحات التى أمامك فارغــة إلا من تلك الجمــل غيــر المكتملة أو غير المكتوبة أصلاً فكل ما خط هو كلمة « كان .... » ثم نقط

ـ « نعم ... نعم » قلتها وأنا أنظر للجمل التى فرغ بعضها واكتمل بعضها بفعل فاعل ، فلم أدعه يكمل لأننى عرفت الباقى وخمنته ، فأضفت :

ـ بالطبع الشرط هو « أن تخط بيدك داخل الكتاب ما تريد إزالته » .

ـ صحيح ، لكن هنالك شىء لا أعرفه ولم أفهمه حتى الآن .....

ـ « الكتاب يقول الإزالة ، فكيف حدث ما حدث مع التلفاز » ..

قلتها أنا وقد خمنت ما يدور فى ذهنه ، فنظر لى مصدقًا وأضاف :

ـ أنت على حق فهذا ما لم أستنتجه أو لم أجد له تفسيرًا ... فلو كان ما توصلت إليه صحيحًا مائة بالمائة ، لكان انفجر مثلاً أو عاد إلى مصنعه أو .

ـ ربما كان الكتـــاب يفعـــل ما يحلو له ، أو أن مهمته هى أن يتحقق فيه .. فى الشىء المطلوب نسخة كلمة كان ..

قلتها مقاطعًا عليه تفكيره ، فأضاف :

ـ ربما ... لكن هنالك عدة مصائب قد تمت بالفعل ....

ـ مصائب ..

ـ نعم ... انظر إلى تكملة الجمل التى عندك وسوف تفهم !

نظرت وقد بدأت أفهم ما يرنو إليه ....

« كان الفرح » .. « كان التلفاز » .. « كان فرج » .. ومن ثم « كان هيثم السلحدار » !! جارى ؟!

* * *

مصيبة أخرى ..

نظر إلى وأنا أرتب أفكارى وأعيد ربط الأحداث ببعضها فقاطعنى قائلاً :

ـ كل ما كتب بجوار كلمة « كـــان » .. قــد تمت إزالته !! ما عدا التلفاز ....

ـ أنت تهذى هذا جنون ، قلتها وأنا أكاد أجن .

ـ والفرح ... الذى انفض ، وفرج الذى مات فى المدرسة التى أعمل بها و ... قاطعته قائلاً :

ـ صدف لا أكثر .

ـ والتلفاز و ... هنا تناهى إلى مسامعنا صرخة أنثوية رهيبة كادت أن تجمد الدم فى عروقنا ... وثبت من على الأريكة وهرولت وخلفى سعيد ، فتحت الباب ، أصغيت السمع .... رأيت باقى القاطنين يطلون من بئر السلم ، وما رأونى حتى صرخوا قائلين :

ـ من عندك من ذات الطابق .

وبالطبع هرول أحدهم فى الدرج وأصبح يركض أمامى ومن ثم ....

ـ ااااااااااه ... صرخة أخرى .. هذه المرة اتضحت الرؤية .. إنها قادمة من شقة ذلك الكاتب الذى يدعى هيثم السلحدار !

ـ « لقد مات » !

قالها سعيد واثقًا كأنه عراف ... فنظر له أحد القاطنين بقرف ملحوظ وأضاف :

ــ فأل الله ولا فالك ...

أضاف آخر فى فضول :

ــ من هو الذى مات ... ثم كيف عرفت ؟!

« هذا المخبول سيؤدى بنا إلى السجن » .. ههههه ... ابتسمت ابتسامة بلهاء وغمزت سعيد فى كتفه وأضفت :

ــ لا ... لا شىء ... لا عليك لقد كنا نلعب الشطرنج وقد خسرت ، فمات الشاه .

نظر لى سعيد بكل عته وأضاف :

ــ شطرنج » إيه ؟

وقبل أن يتمادى فى عكه نظرت له نظرة ذات معنى فحك رأسه وقال :

ــ نعم نعم مات الملك ...

قالها ، وكنا قد وصلنا عند باب الشقة الخاصة بهيثم السلحدار ... كان هنالك ..

من دخل قبلنا وأخذ يصرخ ويهلل « قتيل ... قتيل » ، وهنالك من فقد الوعى ..

وهنالك .. سعيد وأنا ، ننظر إلى بعضنا البعض وننظر إلى جثمان هيثم

الذى فقد رأسه وعنقه تقريبًا .

نظرت إلى زوجته التى انهارت وجلست تنتحب ... هنالك صينية ملقاة أرضًا أمامها .... هنالك كوبان من الشاى .. كيف عرفت أنه شاى ؟.. لأن هنالك بقايا شاى داخل الأكواب .

ـ « لا بد أن نخبر الشرطة » ..

ـ « لا يحرك أحد أى شىء »

ـ « ما الذى حدث ؟ »

كلها أسئلة قد ثارت ، وبالطبع نحن نعلم ما حدث ....

تقمصت دور الشرطة وبدأت أخرج الجيران من الشقة ... وأحضرت ملاءة ووضعتها على جسد هيثم ، وجلست بجوار زوجته وسألتها :

ما الذى حدث بالضبط يا مدام نادية ؟

هأ .... هأ ... مم ... مم .. « تشنجت قليلاً » ، ثم قصت علينا ما قرأته أنت لذا اتركنى أستمع أنا إذًا .

* * *

بالطبع أتت الشرطة وبعدها أتت النيابة وبالطبع ... لن يتوصلوا إلى شىء .

خرجت أنا وسعيد ونحن نتبادل النظرات .. دون أن نتفوه بكلمة واحدة ، حتى دلفنا داخل شقتى .

جلست على الأريكة أمام الكتاب وأنا أرمقه بكل ذهول ثم أضفت :

ــ هذا الكتاب كارثة بكل المقاييس

ــ بل كنز !

ــ هل تخرف ، ومن ماتوا هؤلاء ؟! ألم يكن بسبب ذلك الكتاب اللعين ؟

ــ لا ... بل هو قدرهم ... عمرهم ... أجلهم .

ــ أجلهم ؟!

ــ نعم أجلهم .. فالقادر على أخذ الأرواح هو الله وحده ، أما ذلك الكتاب فسبب لا أكثر .

ــ أنا لا أوافق ... ثم ما هذا الذى تقوله .. يجب أن نتخلص منه بأسرع وقت ممكن .

ــ أما أنا فلا أوافق فمن الممكن الاحتياج إليه !

ــ فى ماذا ؟

ــ هذا الكتاب أداة للقتل ، لكنها كاتمة للصوت ...

قاطعنى قائلاً :

ــ أنت لا تفهم ما أرنو إليه ..

ــ أيًا كان فهو حرام ... وأنا لا أوافق عليه .

ــ بل ستوافق

ــ لا ... بل لن أفعل .

قلتها وأنا أمسك بالكتاب وأسير تجاه باب الشقة .. عندها أمسكنى سعيد من يدى وأضاف :

ــ « لن تخرج بالكتاب » !

نظرت له فلمحت الشر فى عينيه فأضفت فى شك :.

ــ ماذا تعنى ؟

ــ ما أعنيه ... أنك لن تخرج !!

لقد تغيرت لهجته تمامًا وانتفشت رأسه ، واحمرت عيناه ، حتى توقعت أن سيل الزبد من فيه ويتحول إلى غول ..

ــ بل سأخرج ..

قلتها مكورًا قبضة يدى ثم ..

« بوووووم » ..

« طاخ خ » ... « اااااااای »

لكمة لا بأس بها فى فكـــه ثم أخـــرى لا بأس بها فى أنفى أنا ، ثم « بووووم » ..

طاخ خ « .. ثم سقطنا نحن الاثنان أرضًا ، ولهثنا ....

ــ أنت غبى ...

ــ بل أنت الغبى .... سوف تضيع الفرصة .... يمكن أن ... كح كح .. نفكر فى شىء نفعله بهذا الكتاب ... كح كح ...

ــ بل أنت تحلم ... ذلك الكتاب ليس سوى قوى هائلة من الشر .. هذه المرة الأولى التى نتعارك فيها .. والسبب هو .

ــ بل السبب هو أنت وعنادك ..

ــ لا .... إنها قوى الشر ... هذا الكتاب ليس إلا قوى شر هائلة ..

نهض وهو ينفض الغبار عن ملابسه ونهضت أنا أيضًا ، ثم أضاف :.

ــ حسنًا ..... عندك حق ، كح كح ، لكن كيف سنتخلص منه ؟

قالها وهو يدنو منى ثم ... « تعانقنا ... » ..

ــ لقد كانت يداك قويتان ..

ــ ما زلت تحتفظ بقوتك يا صاح ..

ــ عذرًا يا صديقى ..

ــ بل عذرًا أنت ... لقد سيطرت على قوى غريبة جعلتنى أصطدم بك

ــ لا عليك ... اجلس سوف أعد لك بعض القهوة .

قلتها ، ودلفت إلى داخل المطبخ فى سذاجة .

* * *

أخبـار لا تسر ..

« بووووووووم .... »

دوى صوت الانفجار ليخترق أذناى ..

تركت القهوة على النار لتفور ، وخرجت إلى سعيد .. لأجده قد ذهب ..

لقد خدعنى ، واستغل وجودى داخل المطبخ لأعد له القهوة ، وسرق الكتاب ورحل !

يا لى من مغفل .. أحمق ..

تذكرت الانفجار الذى دوى منذ قليل ..

فهرولت إلى النافذة ونظرت من خلالها .. وكان ما توقعت !

لقد كانت سيارتى العزيزة .. تحترق ، وتلفظ أنفاسها الأخيرة ..

لقد فعلها سعيد .. فعلها ليشل حركتى ..

لقد دمر وسيلة المواصلات الخاصة بى .. لكن هيهات فأنا لست لقمة سائغة .

* * *

أبدلت ملابسى .. والتقطت قلمًا كان على المنضدة ، وضعته فى جيبى ..

ودلفت إلى الخارج ..

مرت دقيقة ... دقيقتان .. وأنا أتأمل سيارتى المسكينة وهى تودعنى ، وأفكر فى المكان الذى من الممكن أن يتواجد به سعيد ..

المكان الذى سيفكر هو فى التواجد به ..

فلم أجد سوى .. شقته ..

لكنه ليس غبيًا مثلى ... أقصد .. لن يفكر بهذه السذاجة .. ثم وإن ذهبت ولم أجده فربما أخبرته زوجته بقدومى ووقتها سيكتشف أن تواجده فى البيت سيتيح لى ملاقاته ، وعندها سوف يفكر فى فندق ما ، وسأجد نفسى حينئذ فى مأزق رائع وموقف لا أحسد عليه ..

* * *

وهكذا لم أجد مناصًا من العودة إلى شقتى فى يأس .....

* * *

لم أبدل ثيابى ، جلست وفتحت التلفاز ليبدد ملل الساعات القادمة ، وكانت الطامة الكبرى !!

« سعيد يسعى فى الأرض فسادًا »

فقد انهالت الأخبار على :

(أعزائى المشاهدين خبر عاجل .. وهو يعد الحالة الأولى من نوعها بل الكارثة الأولى من نوعها ..

« الأهرامات .. تتحول إلى قطع من الحجارة المتراصة .. بالقرب من بعضها البعض) !

وقد صرح كل من الدكتور (..........) .. والأستاذ (........) أن هذه كارثة ..

من الممكن أن تكون .... ولا بد أن .... لعنة الفراعنة من الممكن أن .....

يا للأسف .. إنه يفعل أفعالاً صبيانية ..

فهو يجرب الكتاب اللعين فى كل شىء .. حتى معالم البلاد .. إنه يهدم التاريخ ..

أما الخبر الثانى الذى وافانا به الزميل (............) .. الآن ...

فهو أن :

(ميدان التحرير يختفى بالكامل ويصبح صحراء جرداء) ..

وقد صرح كل من الأستاذ (..........) والأستاذ (........) أن هذا يعد ....

وبالطبع لن أفاجأ أنا لو خررت الآن ميتًا أو صرت طفلاً يحبو ..

أما .. الخبر الثالث ..

..... فهو ...... انفجار موقف للحاملات بمنطقة الـــ (..........) .. بالقرب من التحرير .. الذى لم يعد ميدان التحرير بعد ... وقد قال كل من السيد فلان والسيد علان أن هذا ..

وقد تحركت كل من ... و ....

الأمل كل الأمل فى إيجاد سعيد وعودته إلى منزله الليلة ..

* * *

الكثير من أقداح القهوة الفارغة أمامى على المنضدة .. معلنة عن ذوبان جدار معدتى ..

أما عنى أنا ..

فأجلس على القهوة التى يجلس عليها سعيد ، وذلك لشيئين .. أولهما لأننى لو جلست فى شقتى لنمت ، وغلبنى النعاس ، وبالطبع لن أذهب إلى سعيد فى شقته كما عزمت ، وثانيهما أنه من الممكن أن يأتى إلى هنا ما دام يتردد على هذه القهوة ..

جاءنى ذلك الطاهر أو الهيثم أو الرأفت .. أيًّا كان اسمه ، الذى حضرت مع سعيد فرحه أو فرح أخيه .. لا أذكر ، ثم أخذ يرحب بى فى حرارة زائدة ، وأخذ يسألنى عن أحوالى ، وعن سعيد ، الذى لم يره منذ الفرح و....

ـ متى تغلقون القهوة ؟

قلتها مقاطعًا إياه .. فصمت ، وأجاب :

ـ إحنا مبنقفلش خالص ولا مؤاخذة .. ههههه .. إحنا هنا صبَّاحى ..

ـ الحمد لله ..

ـ إيه ؟

ـ لا شىء .. لا شىء ..

قلتها ثم نظرت إلى ساعتى لأجدها الواحدة والنصف صباحًا .. بالطبع لن أذهب الآن .. فسوف أنتظر هنا ساعة أو ساعتين لأتأكد أنه قد عاد ..

نظرت إلى شوقى هذا الذى لم أعرف اسمه ، وطلبت قدحًا آخر من القهوة ..

يا له من مساء ....

الساعة الآن الرابعة إلا الربع صباحًا ... المواصلات نادرة تقريبًا ، لكننى لم أحتجها والحمد لله ، فالقهوة بالقرب من المنزل الذى يقطن فيه سعيد .

صعدت الدرج ، وبالطبع حمدت الله على أن باب البناية لم يكن مغلقًا ..

وصلت إلى الشقة ، ودققت الجرس مرة .. مرتين .. « كل الأسى لو لم يكن موجودًا ، وفتحت لى زوجته .. وقتها لك أن تذكر سبب مجيئك إلى منزلها فى ذلك التوقيت ، وفى عدم وجود زوجها الذى هو سعيد .. وبالطبع وقتها سوف أصبح فى نظرها ... ممم .. لك أن تعى ما أعنيه ..

فهو ليس بالوقت المناسب أعلم ، لكنه الآن وفى مثل هذه الظروف يعد مناسبًا ، وهو أفضل وقت ممكن أن أجد فيه (سعيد) ، ثم فى مثل هذه الظروف لا يوجد وقت يعد مناسبًا أو غير مناسب ..

تك ... تك !!

انفتح الباب ببطء !!

ليعلن لى عن وجه سعيد ، لكنه ناعس تمامًا ..

« بوووم »

لم أعطه أية فرصة كى يتملص أو يستفيق ، فقط باغته بلكمة لا بأس بها فى وجهه ..

ولحسن حظى لم يطلق أية صرخات ، فقط تكوم على الأرض محترمًا نفسه ، ليكمل نومه على السجادة ..

وثبت من فوقه بعد أن أغلقت الباب فى هدوء ، وبدأت رحلة البحث عن الكتاب اللعين ..

هنا ... لا ليس هنا ... إذًا لا بد أنه هنا .. لا لم .. إذًا من الممكن أن يكون فى غرفة نومه .. فبها زوجته .. و...

ـ سعيييييييد !!

ما هذا الصوت ؟

ـ سعيييييييد !!

إنها زوجته .. لقد استيقظت .. يا للورطة ، ماذا سأقول لها ، بل ما الذى أفعله الآن .. أو بالتحديد ما الذى سوف تفعله هى ؟..

ـ سعيييييييد !!

كدت أجيبها « بحالاً جاى » .. أو « نامى أنت » ، لكنها تعرف صوت زوجها ، وإلا كانت بلهاء .

قررت ألا أجيبها ، وأستمر فى عملية البحث فى سرعة عن الكتاب ، وأنصرف ..

هنا .. لا .. بل هنا .. ثم دلفت إلى غرفة مكتبه ، وبدأت أبحث بعد أن أضأت المصباح ..

عندها رأيته .. تهللت فرحًا .. فلم أحتج إلى الدخول إلى غرفة نومه ..

ــ من ؟!

قالتها زوجته .. التى رأيتها تقف أمامى بشعرها المنكوش ...

أنا إبراهيم فتحى صديق زوجك الذى و ... لم تتركنى لأكمل مبرراتى ..

« فإن كنت صديقه حقًا .. فلك أن توضح لها .. لما هو ملقى على الأرض بلا حراك فى وسط الصالة ، وأنفه يذرف دمًا ، ولمَ أنت فى غرفة مكتبه الخاص كاللصوص .. عليك أن تشرح هذا ، وتفترض فيها الذكاء المبهر .. »

بالطبع لم تنتظر هى أكثر من ذلك و...

« يالاهوييييييييييي » !!

أطلقت صرخة مدوية كسارينة الإسعاف ، ومن ثم تبعتها أخرى بـ :

حراااااااااميييييى !!

لم يستغرق الأمر سوى ثوانٍ كى يتدفق جميع السكان القاطنين بالبناية إلى شقة سعيد ، وتصير مثل موقف شبرا ، ثم يتقدم أحدهم ، وهو يرتدى منامه ، ويصوب مسدسًا نحوى ، ويبدأ فى تهديدى .. يا لِه من مأزق ..

فى هذه اللحظة رأيت (سعيد) ، الذى أفاق يجتاز الصفوف ، وهو يبتسم ويضيف :

ــ الكتاب .. الكتاب يا إبراهيم ..

ـ لا .. لن أعطيك إياه ..

قلتها وأنا أوارى الكتاب فى ملابسى ..

بالطبع سمعت عدة جمل ، وكلمات على غرار « أما حرامى بجح » .. « مجنون » .. وغير ذلك على سبيل المديح لا أكثر ، لكننى لم أكن أعبأ بهم ، فهم لا يفقهون شيئًا .

ـ الكتاب يا إبراهيم .. أعطنى إياه إذا سمحت .. وسوف أتركك ترحل فى سلام ، ولن أبلغ الشرطة .

ـ أنا لست لصًا ..

« أما والله غريبة دى » .. « حرامى وممسوك فى شقة الراجل متلبس ، وبينكر إنه مش حرامى « .. مجنون » .

ـ الكتاب يا إبراهيم ، وإلا ...

هنا .. التقط سعيد المسدس من الرجل ذى المنامة ، وصوبه تجاهى !!

ـ أتقتلنى ؟!

ـ نعم .. دفاعًا عن النفس يا صديقى ..

فالتقط أحدهم الهاتف ، وطلب الشرطة ..

سمعت الصوت الخفيض الصادر من السماعة يقول :

ـ قسم شرطة (.........) ... من المبلغ ؟

لم أنتظر أنا أكثر من ذلك ، فجلست على أقرب مقعد وهو مقعد المكتب معلناً استسلامى .. وفى اللحظة ذاتها دسست إصبعى من بين صفحات الكتاب ، وفتحته على الصفحات الفارغة ..

لا أعلم كيف خطرت هذه الفكرة على بالى ، بالطبع لن يتركنى سعيد أفعل ما يخطر ببالى ، لذا فاجأت الجميع ، بعد أن نظرت خلفهم ، وأضفت فى أسى :

ـ ها قد أتت الشرطة .. على غرار « بصوا العصفورة » .. فبالطبع لم تكن الشرطة قد أتت .. لكننى كنت أحتاج إلى بضع ثوان .. مجرد ثوان كى أخرج القلم من جيبى ، وأخط بجانب إحدى الجمل غير المكتملة ..

« كان ... كتاب كان ... » !!!!!

عندها صرخ سعيد ، لكن كل شىء كان قد تلاشى ...!!!!

* * *

الخـاتمـة

الساعة العاشرة صباحًا ..

الآن ترانى أقف فى الشرفة ، وأرمق بائع الروبابكيا ، الذى أخذ يصرخ قائلاً بضع كلمات ، لن تتبين منها سوى كلمة .. بكيا ..

التى تدل على أنه بائع روبابكيا .

أين رأيت ذلك المشهد ؟.. لا أعلم .. لكننى أذكره بحذافيره ، يعترينى شعور بأننى قد رأيته من قبل .. عشته من قبل ، لكن أين .. أو متى .. لا أعلم .. حقًّا لا أعلم ..

أعتقد أن الأطباء يطلقون على هذه الحالة اسم « الديجافو » .. ربما .

وهكذا فردت ذراعى فى الهواء كى « أتمطع » .. عذرًا لم أجد سوى ذلك التعبير .. ومن ثم ...

ترررن ترررن ..

جرس الباب يدق ، ذهبت لأفتحه ، لأجد هيثم السلحدار .. جارى اللدود .. يبتسم فى بلاهة ، وفى إحدى يديه قصة .. من قصصه السخيفة .. التى تحكى عن عوالم الرعب ..

هذه قصتى الجديدة ، أرجو أن تنال إعجابك يا أستاذ فتحى ..

إن شاء الله ..

هكذا تناولتها منه ، وأغلقت الباب بعد أن انصرف ، وبعد أن شكرته بالطبع .. ودعوته إلى تناول الفطور معى ، لكنه اعتذر وانصرف ، شاكرًا إياى ..

دلفت إلى الداخل ، وجلست أتناول الإفطار ، وأتابع التلفاز ، ومن ثم --

« بكيا » ...

يأخذ الصوت فى الابتعاد ..

« بكيا » ...

ويمر بائع الروبابكيا فى سلام .. أرمق بطرف عينى التلفاز ، لأشاهد منظر الأهرامات ..

وحوار مع الدكتور (..........) عالم الآثار المعروف ، بجوار إحدى عجائب الدنيا السبع ...

ابتسمت ثم أخذت ألوك قطعة الجبن فى رضا تام ..

يا لها من حياة .. لم أشعر بأن الحياة أجمل أكثر من الآن ..

ألا ترون ذلك معى ؟....

تمت بحمد الله

روايات مصرية

•

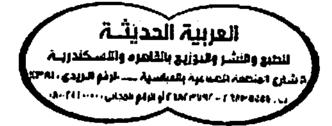
2

ميتافيزيقا

تتجاوز حدود الطبيعة
أو ما وراء الطبيعة

الدمية ماندى

تأليف :
أحمد فكرى



البــدايـة ..

كولومبيا بريتش عام 1991

نشاهد امرأة فى الخمسين من عمرها تهرع ، ممسكة بصندوق للهدايا ، وهى ترتجف ، وتقف أمام باب متحف خط على واجهته « كويسنيل » ، وهو المتحف المشهور به تلك المقاطعة الكندية ، تقف لتتحدث مع أحد حراس الأمن ، وتطلب منه مقابلة أحد من المسئولين من إدارة المتحف ، ينظر لها الحارس نظرة تشكك ، ثم يضيف :

ــ أقول له من وبخصوص ماذا ؟

تلهث السيدة من فرط التعب النفسى ، والجسدى ، وتضيف :

ــ « ميرياندا » .. أما الموضوع فهو سر ..

ينظر لها الحارس مرة أخرى ، وهو يضيف :

ــ لا يوجد إلا أمين المتحف السيد « جوستاف » ..

ــ نعم هو ذا ..

ــ ثوان فحسب ...

يقولها الحارس ، ثم يتوارى داخل المتحف لثوان ، ويعود ومعه رجل أصلع نحيف ، يبتسم دائمًا فى مرح ، يرحب بالسيدة ، ويقتادها إلى الداخل ، إلى مكتبه ..

وفى المكتب يجلس الاثنان ، يتبادلان أطراف الحديث .. تتبدل ملامح الرجل إلى التعجب ، ويتساءل :

ـ هل هى معك الآن ؟

ـ نعم ، داخل ذلك الصندوق ..

ينظر الرجل إلى الصندوق ، ويمد يده ، ويضيف :

ـ أعطنى إياه إذا سمحت ..

تمد السيدة إليه يدها بالصندوق ..

يتناوله الرجل بلهفة ، ويفتحه ، ليفصح عن دمية قبيحة الشكل ، ملابسها متسخة وجسمها متشقق ورأسها ممتلئ بالصدوع والخدوش ..

يقلبها الرجل بين راحتيه ، فتهمس السيدة :

ـ خذ كل الحذر .. لقد أخبرتك بكل شىء عنها ، ولك حرية الاختيار .

ينظر إليها وهو يبتسم ويضيف :

ـ لا تقلقى ، سوف نتخذ كل الإجراءات التى تجعلها آمنة فى متحفنا .

* * *

متحف كويسنيل بمقاطعة كولومبيا بريتش عام 2012

هنا ترى مجموعة من التماثيل ، التى على ما يبدو من حضارة المايا .. وفى ذلك الركن ترى ذلك التمثال الفرعونى ، وهناك ، وبالتحديد فى ذلك الركن ، تراه ، وقد تكور حول نفسه ، وغط فى سبات عميق ، ولا بأس من إصدار بعض الأصـــوات العذبة التى تنم عن تلف الشكمان الخاص بجهازه التنفسى ..

يجلس بمفرده فى تلك البقعة من المتحــف ليحرسها ، اثنى عشر ساعة كاملة تمر عليه ، وهو بين جالس وقائم ، ثم سائر بين التحف ، ثم نائم ..

اثنا عشر ساعة كاملة يرى خلالها الكثير والكثير ، عائلات ، عشاق ، فرادى .

يجوبون جنبات المتحف ، يلتقطون الصور هاهنا ، يضحكون هنا ، ويقفون بالساعات هاهنا ..

الكل يقف كثيرًا أمام ذلك الصندوق الزجاجى ، الذى وضعت بداخله تلك الدمية ، دمية أقرب إلى دمى الأطفال العادية ، متوسطة الحجم .. شكلها القبيح ، وهيئتها المسربلة ، توحى أنهم قد أتوا بها للتو من صندوق القمامة ، لكن الأسطورة التى نسجت حولها ، جعلتها ، تأخذ تلك المكانة بين زوار المتحف ، وتجذب انتباههم جميعًا .. لم يقرأ التقرير المكتوب

عنها قط ، لكنه لا يعلم عنها سوى القليل ، القليل جدًا .. وهو ما قصه عليه صديقه فى المتحف ..

هناك سيدة .. أتت إلى إدارة المتحف ، وقصت عليهم ، ما قصته ، ثم وضعت فى مكانها فى ذلك الصندوق ..

لكنه دائمًا ما يقول إن الناس تختلق القصص اختلاقًا كى تجعل من أشيائها أشياء ذات قيمة ، كى يبتاعها منهم المغفلون ..

ذلك الركن به عدة صناديق الزجاج ، واستقر داخله العديد من التحف المصنوعة من الذهب الخالص ..

تمر ساعات النهار عليه طويلة .. مملة .. لا ينام فيها ، ولن يستطيع وسط كل تلك الحشود التى تجوب المتحف هنا وهناك ، لذا ينتظر الموعد الخاص بإغلاق المتحف بفارغ الصبر ، حتى ينام ..

يتخذ من ذلك الركن غرفة النوم الخاص به ، ومن ذلك المقعد فراشه ..

لذا تجده قد تكور حول نفسه هكذا ..

تاااااااااااااااك !!!!

ما ذلك الصوت ؟!

يفتح عينيه بصعوبة .. على أثر ذلك الصوت ، لكنه يغلقهما مرة أخرى ..

وخخخخخخ ....

تاااااااااااااااك .. مرة أخرى !!

هذة المرة يفتح عينيه رغمًا عنه ، ويتحامل على جسده المرتخى ، وينهض ليرى ما هنالك !!

الظلام دامس !!

لقد انقطع التيار الكهربى ، عن المتحف !!

ـ لا بد أن عيبًا ما فى المولدات قد .....

سمعها من صديقه ، الذى قالها وابتعد صوته ، تدريجيًا حتى لم يعد يسمعه ..

أمسك بالهاتف الخاص به ، وأضاء الكشاف الصغير الخاص به ، ليبدد ذلك الظلام ..

من أين أتى ذلك الصوت ؟

هو لا يدرى .. يسير فى تؤدة ، ليرى ما الذى حدث ، يبحث هنا .. ثم هناك .. لا شىء ..

ربما كان فأرًا .. أو قطًا عابثًا ، يدور باحثًا حول التحف .

يتقدم بضع خطوات أخرى تجاه الصندوق الزجاجى الخاص بالدمية .. ويبحث حوله ..

ما هذا ؟!

تصطدم عينـــاه بالصندوق الزجاجى ، فيوجه الكشـــاف إليـــه ، فيتلقى الصدمة .. إنه فارغ !!

أين ذهبت تلك التحفة ؟!.. أين ذهبت الدمية ؟!

هل سرقها أحد الزوار ؟

لا يعتقد هذا .. وجهاز الإنذار ؟! ثم ، كيف وهو موجود ؟!

إذًا فهذا الافتراض مستحيل أن يحدث ..

لكن ربما .. قطع اللص الكهرباء لأجــل تعطيل جهاز الإنذار ، ومن ثم يتمكن من سرقة ما يريد بكل سهولة ويسر ، دون أن يشعر به أحد . ربما .. خاصة وأن الصندوق لا يوجد به كسر أو خدش ، إذًا هناك من قام بفتحه ، وسرقة ما فيه

ــ هذه الدمية اللعينة ..

يقولها بصوت عال محدثًا بها نفسه ، ثم ..

تاااااااك !!!

ما هذا ؟!..

ينظر خلفه ، إنه لص .. لا بد أنه لص ، لكنه أحمق على كل حال ، لص يسرق دمية ، قبيحة المنظر ، ليس لها قيمة مثل تلك !!

يقبض بيده على مسدسه ، لكنه لم يجده !!

هذه مصيبة أخرى !

أين ذهب هو الآخر ؟!

يتصبب عرقًا ..

لا بد أن ذلك اللص قد سرقه هو الآخر وهو نائم ..

إذًا هناك لص ، وفوق ذلك فهو مسلح ..

يمر ظل من أمامه !! فيفر الدم من عروقه .. يفرك عينيه ، ليرى جيدًا ، أنه ظل شيء ما .. شيء ما قصير جدًا ، ظل أقرب إلى ظل قزم .. إذًا ليس لصًا .. فلا يوجد لص بذلك القصر ..

فهو أقرب إلى طفل ، هل ترك أحدهم طفله هنا ؟

ترااا ككممممممممم ..

تعود الكهرباء إلى المتحف ، لا بد أن صديقه قد أصلح العيب ، يتقدم بضع خطوات ، وهو يرتجف هلعًا ، وتتسع عيناه ، وهو يقرأ اللافتة التى تذكرها والتى استقرت بدورها أمام الصندوق الزجاجى ..

ـ الدمية ماندى !!!

* * *

كولومبيا بريتش ...

1

لا زلنا فى عام 2012

أنت تعرف كولومبيا بريتش جيدًا ، وإن كنت لا تعرف عنها شيئًا فأنا لا ألومك لأننى مثلك تمامًا ، لذا دعنا نستمع إلى ذلك المرشد السياحى ، الذى انهمك فى شرح كل شىء عنها ..

ـ نحن الآن فى مقاطعه كولومبيا بريتش وهى مقاطعة تقع فى كندا .. بالتحديد فى الركن الجنوب غربى ، وتبعد نحو 24 ميلاً عن حدود الولايات المتحدة مع كندا .. وتعتبر من أكثر المدن تميزًا وجمالاً فى العالم ..

يتوقف عن الحديث ، ليعبئ رئتيه بالهواء ويرى إن كان هناك من يتابعه أم لا ، فيجد البعض يعبث هنا وهناك ، دون اهتمام ، ومن بينهم أنا طبعًا ، لكنه يكمل رغم هذا ..

ـ وهى محاطة بالجبال الساحلية والأراضى الزراعية الخصبة لوادى نهر فريزر ومضيق جورجيا ..

ـ هذه حصة جغرافيا لا محالة ..

قلتها فى نفسى ، وأنا أعبث فى جيوب الحقيبة الخاصة بى ، حتى أخرج الكاميرا الخاصة بى ، وألتقط عدة صور لتلك المناظر الرائعة ..

ـ ونحن داخل أهم معالم كولومبيا بريتش ألا وهو متحف كويسنيل

وهو من أهم المتاحف فى العالم ، فهو يكشف عن بعض أساطير من الدورادو حيث قد نسجت حولها الكثيــر من القصص المختلفة والدورادو هو الاسم الذى أعطى فى البداية على ملك أو زعيم كهنة فى إحدى قبائل

أمريكا الجنوبية والذى يقال إنه كان يغطى نفسه بغبار الذهب فى احتفال دينى سنوى يقام قرب سانتا فى دى بوغوتا ، وذلك قرب مدينة أسطورية تدعى مانوا ..

ـ ممل ..

قلتها وأنا أتسل من بين ذلك الجمع ، وأذهب لأتفقد المتحف وحدى ..

كليييكك ..

التقطت صورة لهذا التمثال ..

كليييك .. ثم لتلك القطعة الذهبية ، الرائعة الشكل .. ثم .. ما هذا الصندوق الفارغ ؟

اقتربت منه ، وبدأت أقرأ تلك اللافتة التى وضعت أمامه لتشرح ماهية الشىء المعروض ، وبدأت أقرأ ببطء ، باللغة الإنجليزية :

ـ الدمية ماندى ..

تبرع أحدهم بتلك الدمية إلى المتحف فى عام 1991 ، وكانت ملابسها آنذاك متسخة وجسمها متشقق ورأسها ممتلئ بالصدوع . إذ يقدر عمرها بأكثر من 90 عامًا ، والقول الذى يشيع فى المتحف حول تلك الدمية هو أنها « تبدو كدمية من الطراز القديم ولكنها أكثر من ذلك بكثير » ، المرأة التى تبرعت بالدمية « ماندى » ..

كليككك .. صورة أخرى لذلك التقرير ، لأقرأه وأبحث عنه فى شبكة الإنترنت لاحقًا ..

لكن أين هى تلك الدمية ؟!

إن هذا يذكرنى بما يحدث فى حديقة الحيوان ، عندما أذهب لأشاهد الحيوانات ، فأجد نفسى أذهب لمشاهدة الأقفاص الحديدية الفارغة ..

بعد مرور ساعة تقريبًا ، غلبنى الجوع ، تحسست الحقيبة ، كى أطمئن على وجود الشطائر كما هى .. وخرجت من المتحف إلى الحديقة كى أبحث على مكان ما كى أتناول فيه تلك الشطائر ..

أخذت أبحث خارج المتحف ، عن مكان ما إلى أن وجدت ذلك الركن ، خلف المتحف ..

أخرجت الشطائر ، وبدأت فى تناولها ..

هنا لمحت ذلك الشىء الملقى بين الحشائش !

نهضت ، تاركًا الشطيرة من يدى ، واقتربت منه بتؤدة ، جثوت على ركبتى ، لأتفحصه لأجده عبارة عن دمية .. صحيح أنها قبيحة المنظر ، لكنها بحالتها ، كما هى ..

ربما فقدها أحد الأطفال ..

التقطتها ، ودسستها داخل حقيبتى ، وعدت إلى حيث الشطائر ..

* * *

2

ينظر الحارس إلى اللافتة ، ويقرأ ما خط فيها بصوت مسموع ..

« الدمية ماندى » !

تبرع أحدهم بتلك الدمية إلى المتحف فى عام 1991 ، وكانت ملابسها آنذاك متسخة وجسمها متشقق ورأسها ممتلئ بالصدوع . إذ يقدر عمرها بأكثر من 90 عامًا ، والقول الذى يشيع فى المتحف حول تلك الدمية هو أنها « تبدو كدمية من الطراز القديم ولكنها أكثر من ذلك بكثير » ، المرأة التى تبرعت بالدمية « ماندى » تدعى « ميريااندا » وهى ..

تااااااك !!

يلتفت ثم .. طاااااااااخ !! ، .. سرييييييييك !!

يدوى صوت الطلقة فى فناء المتحف ، ويتبعها صوت تهشم الزجاج ..

لقد مرت الطلقة بجواره ، لتخترق الصندوق الزجاجى الذى يقبع أمامه !

ذلك المجنون ، لا بد أن اللص يبدأ فى استخدام سلاحه ، يلتفت ليرى من ذلك المخبول ، عندها يصعق !!

* * *

مصر من جديد ....

3

الرجاء من حضرات السادة الركاب ربط الأحزمة ..

صدر الصوت من مكان ما بالطائرة آمرًا الجميع بربط الأحزمة ، فربط الحزام خاصتى ، ثم غبت فى سبات عميق ..

لا أعلم كم من الوقت قد مر ، وأنا نائم ، لكننى نهضت على يد تلكزنى برفق فى كتفى كى أستفيق ..

نهضت بعين ناعسة ، متسائلاً عما هناك ، لأجد أمامى تتسمر المضيفة ، وتبتسم فى سماجة متصنعة ، قائلة :

ــ أنت تعــلم جــيدًا .. حضرتك .. أن حضــرتك ، لا يســمح ، بذلك ، الشىء ..

ــ ماذا ؟

قلتها ، بعد أن فركت عينى كى أستفيق ، وأعى ما تقوله جيدًا ، فأعادت على ما قالته مرتبًا :

ــ حضرتك ، لا يسمح ، وممنوع منعًا باتًا ، اصطحاب الحيوانات ، داخل الطائرة !

ـ حيوانات !!

ـ نعم !

ـ أين ؟

ـ فى حقيبة حضرتك الشخصية !

كدت أن أقول لها إنها مخبولة ، لكننى عدلت عن ذلك ، لأدبى المفرط ، وأضفت :

ـ من قال لك هذا ؟

ـ لقد سمع أحد الركاب أن هناك شيئًا يعبث فى حقيبتك من الداخل !

ـ إذًا ها هى الحقيبة .

قلتها وأنا أستخرج الحقيبة من المكان المخصص لوضعها بأعلى رأسى ، كى أبرهن على عدم فعلى لتلك الجريمة الشنعاء ، وعدم سلامة قواها العقلية ..

سحبت الحقيبة ، ووضعتها أمامى ، وفتحتها أمام الجمع ، وكأننى حاو ينتظرون منه أن يخــرج أرنبًا أو حمامة ، فلم يجدوا ســوى بعض المستلزمات الشخصية ، وكاميرا ، ودمية قبيحة الشكل !

نظرت إلى المضــيفة ، التى نظــرت إلى الرجــل الذى تكــوم إلى جانبى ، وطفق يرمقنى بخبث واضــح ، وكأنها تعاتبــه على وضعها فى ذلك الموقف ، الــذى جعلها تبــدو حمقاء ، ثم ابتسمت فى بلاهــة ، وهى تضيف :

ــ آسفة على الإزعاج ، أنت تعلم أننا ..

وأخذت تبرر لى .. ثم انصرفت ، محمرة الوجنتين ..

أغلقــت حقيبتى ، وعــدت إلى مقعــدى ، وأنا أنظــر إلى من بجانبى شذرًا ..

* * *

4

يجلس سعيد فى غرفته ، وأمامه يقبع برج من الكراريس ، والكشاكيل الخاصة بتلاميذه ليصححها ..

يعبث فى أنفه ، ثم يطلق سبة بذيئة كعادته ، يخط بعدها بالقلم الأحمر داخل كشكول أحدهم .. ثم يلقيه بجانبه ، ليلتقط آخر ، ويفعل معه ذات الفعل تقريبًا ..

تدلف أميمة زوجته ، بصينية ، وضع عليها كوب من الشاى الأسود الساخن ، وتزيح بعض هذه الكشاكيل ، لتفسح لها مكانًا ، وتضيف :

ــ ماذا دهاك ؟

دون أن ينظر إليها ، يلقى بكشكول آخر جانبه ، ويضيف :

ــ أغبياء !... كلهم أغبياء !

ــ من هم ؟

ــ هؤلاء التلاميذ .. ليسوا سوى قطيع من الحمير ..

تبتسم ، ثم تربت على كتفه ، وهى تضيف :

ــ آمل ألا تكون هدير مثل هؤلاء الحمير ..

يتوقف عما يفعل ، ثم يلتفت إليها ، قائلاً :

ــ هدير ابنتى أنا .. ابنة مدرس أول لغة عربية .. مستحيل ..

ــ أنا أمازحك ..

تقولها ، ثم تجلس على المقعد المقابل له ، وتلتقط كوب الشاى لتضعه أمامه مباشرة ، يأخذه هو بدوره ، ويرشف منه القليل ، ثم يتركه ، وهو يضيف :

ـ هل تذكرين إبراهيم فتحى ؟ .. صديقى الذى حدثتك عنه مرارًا ..

تعبث فى رأسها وهى تحاول استرجاع الذاكرة ، ثم تقول :

ـ نعم .. نعم .. أذكره ، لكن لمَ ؟

شررووووف ..

رشفة أخرى ثم يضيف :

ـ أريد أن أدعوه فى زيارة على العشاء .. خاصة وأننى لم أره منذ شهر تقريبًا .. وأنه أرمل ..

ـ حسنًا .. كما تريد .. سوف أعد لكم وليمة على العشاء ..

قالتها ، وغادرت الغرفة ..

نهض سعيد ، والتقط سماعة الهاتف ، وطلب رقم صديقه ..

* * *

5

ترررررررررن ..

جلست داخل السيارة الأجرة فى طريقى إلى المنزل ، عائدًا من رحلتى الرائعـــة فى كولومبيا بريتش .. وأرمق الموجودات من خلف زجاج السيارة .. حين دق جرس الهاتف الخاص بى ..

التقطت الهاتف من حقيبتى ، وأجبت :

ــ ألوو ...

ــ إبراهيم .. كيف حالك ؟

ــ من معى ؟

ــ سعيد يا أحمق ..

ــ كيف حالك يا سعيد ..

ــ أنت كيف حالك يا ... سبة لا بأس بها من فيه المتسخ دائمًا ..

ــ أنت مدعو على العشاء الليلة .. وليس لك الحق أن ترفض ..

ــ شكرًا يا سعيد .. لكنك لا تعلم أننى للتو ..

لم يدعنى أكمل ، وأضاف فى دعابة سمجة مثله تمامًا :

ــ هذا استدعاء رسمى ، يا إبراهيم .. ثم إن أميمة ، أعدت لنا وليمة لا بأس بها .. ولن أقبل اعتذارات ..

ــ مم ... حسنًا .. إن شاء الله .. سوف ...

قاطعنى :

ـ أنتظرك حالاً ..

قالها ، ووضع سماعة الهاتف ..

أغلقت هاتفى ، وجعلت السائق يغير وجهته إلى منزل سعيد ..

الحق أننى كنت جائعًا ، وكنت أحمل على عاتقى عبء إعداد العشاء ..

فإن مسألة إعــداد الطعــام مشكلة ، وهم لا يشعر به إلا من عاشه وذاقه ..

لكن هناك مشكلة الهدايا ..

لا بد أن آخذ هدية لابنته ، التى نسيت اسمها ..

فتحت حقيبتى ، لأجد الدمية تنظر إلى بعينين تحملقان ..

ابتسمت ، وقد علمت ما هى الهدية التى سوف آخذها لها ..

* * *

6

وفى شقة سعيد جلسنا نتناول طعام العشاء بنهم ..

ونثرثر فى كل شىء ..

بفم ملىء بالطعام ، أضاف سعيد :

ــ أين كنت هذه المرة ؟ يا إبراهيم ؟

ــ هناك !!

ــ هذه إجابة تنم على ذكائك كالعادة ..

ــ أقصد فى كولومبيا بريتش ..

نهضت ، أميمة ، وحملت الصحون فارغة ، ودلفت إلى المطبخ ..

نهضنا بدورنا ، لنأخذ الشاى فى غرفة المعيشة ..

أتت هدير لتتمسح فى أبيها ، بخجل وترمقنى ..

أمسكت بحقيبتى ، لأخرج منها الدمية .. وأناولها إليها بابتسامة ، وأضيف :

ــ خذى هذه منى ، لقد أحضرتها لك من كولومبيا بريتش ..

دون كلمة واحدة تناولت الصغيرة الدمية ، وهرولت لتتوارى إلى الداخل ..

ابتسم سعيد ، وشكرنى ، ونادى على أميمة لتحضر الشاى ...

احتسينا الشاى سويًا ، ونظرت إلى ساعة الحائط لأجدها الواحدة صباحًا ، فنهضت ، شاكرًا ، إياهم على تلك العزومة ، ومن ثم انصرفت عائدًا إلى شقتى ..

* * *

بداية المتاعب ..

7

دلفت هدير إلى الداخل ، وهى تمسك بالدمية ، وتلقى بها على فراشها ، وتضيف :

ـ من الآن فصاعدًا أنت صديقتى المفضلة ..

ـ وأنت كذلك !!

حملقت هدير فى الدمية ، وهى تحرك شفتيها ، وتبتسم ، فابتسمت هى الأخرى ، وهى تضيف :

ـ نعم أنا كذلك ..

ـ أنا هدير ، وأنت ؟

ـ ماندى !!

* * *

8

الشمندورى .. عمران الشمندورى .

جزار المنطقة هكذا يلقب نفسه ، ويقول إنه يبيع لزبائنه أجــود اللحوم ، وذلك بما يرضى الله .. لو نظرت له ستجده بدينًا ، متسخًا دائمًا ، تخطى الستين تقريبًا ..

يفتح جزارته فى العاشرة صباحًا ، ويغلق فى السابعة والنصف مساءً ..

لديه صبى ، هو ابن أخته يدعى منعم ، يساعده فى كل شىء ، يقول إنه ذراعه اليمين ، إن لم يكن ذراعيه الاثنين ..

هو من يفتح له المحال ، ويغلقه أيضًا ..

يبيع كل أنواع اللحوم الطازجة ، ثم إنه يبيع بالتسعيرة .. لأنه يبيع بما يرضى الله ..

هكذا يقول ، وهكذا يتملق نفسه ..

فى ذلك اليوم بالتحديد لم يأت منعم ، ليفتح الحانوت ، مما جعل يحيى يذهب هو بنفسه مبكرًا ليفتحه ، ويبيع وحده ..

بعد يوم شاق من البيع ولم الغلة يخرج ليصرخ فى شفيق القهوجى كى يحضر له كوبًا من الشاى الحبر ، ومعه شيشته المعتاد عليها ، ثم يجلس ليلتقط أنفاسه ، يهرع ذلك الشفيق إلى الداخل ، ويحضر له ما يريد ، ويضعه أمامه باحترافية لا مثيل لها ..

يشكره بصفعة على قفاه ، ولسعة من اللى الخاص بنرجيلته ، فيأخذ شفشق ذيله فى أسنانه ويفر من أمامه .. وهو ينعته بالكثير من السباب فى نفسه ..

يلتقط الشمندورى فم الشيشة ، ويبدأ فى شحن الربو إلى صدره .. فى استمتاع ..

ثم يرشف من كوب الشاى ..

بالنسبه إليه هذه هى الحياة الهانئة حقًّا ..

يفرغ من كل هذا ، ويبدأ فى إنزال اللحوم من أماكنها لإعادتها داخل الثلاجات ، وهى عملية شاقة للغاية ، كان يفعلها بدلاً منه منعم ، الذى مرض اليوم ..

يفعل ذلك فى ساعتين ، ويجلس ليلهث ، ويطلق سبه فى الهواء للا شىء وكل شىء ، ثم يطلق أخرى لمنعم ، الذى لم يأت ..

ينظر إلى ساعة الحائط ليجدها الثانية عشر بعد منتصف الليل ..

لقد مر دهر عليه ، دون أن يكون متواجدًا فى جزارته لمثل ذلك الوقت ، تبًا لمنعم .. ثم يطلق سبة أخرى ..

تااااااك !!

ما هذا ؟!

لا بد أنه ابن عرس .. فهناك الكثير منهم ..

يلتفت فى تؤده ، ليرى ذلك الظل الصغير ، يهرول ليتوارى بين الثلاجات !

ظل أقرب إلى ظل طفل .. يبتسم فى خبث ، ويضيف إذًا هناك من يريد العبث مع عمران الشمندورى ، ينهض فى صعوبة بالغة ، ويتجه إلى حيث توارى الظل ، يلتقط سكين اللحم ، فى طريقه ، ثم .. بخخخخخخ ..

يقولها مازحًا بفم التهم أسنانه السوس ، فلم يجد أحدًا ..

ـ شمندووورييييى ..

ـ من ؟

يقولها وهو يلتفت ليرى صاحب الكلمات ، فيتصلب مكانه ، من هول ما رأى ، ودون كلمة أخرى كان الخطاف الذى يعلق عليه اللحم ينغمس فى رقبته ، ليخرج من قفاه ، ويرسل به إلى العالم الآخر ، ويصبح كومة من اللحم المعلقة فى جزارته !!!!

* * *

9

جابر المندور ..

عم جابر المندور .. صاحب حانوت ، أو كما يحلو للبعض ، بقالة .. صحيح ليست فخمة ، لكنها تؤدى الغرض ..

يقول لنفسه ، ما دام الجميع يحتاجنى ، وبضاعتى لا يطولها الكساد ، فلن أغلق إلى أن أموت ..

بضاعته كل شىء .. الجبن ، واللانشون ، والحلوى .. الكثير منها ، ولفافات التبغ .. الكثير منها أيضًا .. والصابون السائل .. وماء نار !!

يقول إن الكثير يطلبونها للتنظيف ، يعلم أنها خطر ، لكنه لا يعطيها إلا لمن يعرفه جيدًا ..

إن عم جابر يجعلك تتذكر أيام زمان حقًّا ، فقط مر من أمام حانوته وستتسلل إلى أنفك أعظم روائح الجبن المخلوط بكل شىء ..

صحيح أن معظم زبائنه أطفال ، وهو يمقت الأطفال ، إلا أنهم يكسبونه ، وهم من يجعلونه لا يغلق حانوته إلا بعد منتصف الليل .. حتى آخر فأر يدخل إلى جحره .. هكذا يقول ، وهكذا يصف الأطفال ..

أما ما حدث معه تفصيلاً فهو الآتى ...

يجلس وحده ليلاً ، يشاهد التلفاز العتيق ، الذى علقه فى ركن الحانوت ، فى استمتاع ، ينظر إلى الخارج ، ليجدها تمطر ، يقشعر جسده ، وينظر

لساعته ، ليجدها الواحدة صباحًا ، لقد تأخر كثيرًا اليوم ، لكنه مقطوع من شجرة فإن جلس هنا إلى الأبد فلن يسأل عليه أحد ..

ينهض فى تؤده ، ليغلق التلفاز ، ويتثاءب ، هنا تتسرب إلى أنفه رائحة الصابون ..

يتحرك بخطى متثاقلة كالروبوت ، بين بضاعته ، ليجد مصدر الرائحة ، فيجد أن زجاجات الصابون السائل قد تم فتحها ، وسكبها على الأرض ، من فعل ذلك ؟

يجثو ، على ركبتيه ، ليتفحص المشهد بوضوح ، فتتفلت قدماه ، وتذل ليسقط على ظهره ، متوجعًا ..

يتألم من فرط سقوطه ، هنا تتسع حدقة عينيه ، يفتح فمه ليصرخ ، فيتدفق السائل الشفاف « ماء النار » ، إلى فيه ، ثم إلى أمعائه مباشرة ليحللها ، وليسكته إلى الأبد !!

* * *

10

هــديــر ...

ـ لقد ساءت أحوال ابنتك منذ قدوم تلك الدمية اللعينة إلى هنا ، لقد صارت تجلس إليها أكثر مما تجلس معى ، والأمر الأسوء أنـها تتحدث إليـها كأنـها تعى ما تقوله لـها ..

قالتها أميمة ، وهى تجلس على المائدة جوار زوجـها سعيد ، الذى انـهمك فى قراءة الجريدة اليومية دون أن ينظر إليها ..

ـ أتسمعنى يا سعيد ..

ـ همممم ..

ـ سعيد ..

ـ خيرًا يا حبيبتى ..

ـ لقد كنت أحدثك ..

ـ عذرًا كنت منـهمكًا فى ذلك الخبر ، وذاك ..

ـ منذ متى تـهتم بتلك الأخبار التى فى الجرائد ..

قالتها وهى تلتقط شطيرة ، وتضعها فى فيها ، وتلوكها ..

فنظر إليها سعيد ، وهو يضيف :

ـ شمندورى .. الجزار الذى يقبع فى آخر الشارع ، قد وجدوه مقتولاً داخل جزارته فى ميتة بشعة بالفعل ، وكذا عم جابر البقال ، الذى تبتاعين منه أغراض البيت ..

ــ ماذا دهاه هو الآخر ..

ــ لقد تحللت أمعاؤه ووجدوا جثته فى بقالته ، بعد أن ابتلع ماء النار ..

ــ ماء النار !!

ــ هناك سفاح إذًا فى المنطقة !!

قالتها وهى ترتعد ، فارتعد هو الآخر من كلماتها الأخيرة ، وأضاف :

ــ فأل الله ولا فألك .. اصمتى ، وتناولى الفطور فحسب ..

قالها ، وأخذ يكمل قراءة الخبر ، فأضاف :

ــ إنهم يقولون إنهم قد عثروا على بصمات داخل الحانوت ، والجزارة تبدو كأنها بصمات ليد طفل .. توقف عن الحديث ليمط شفتيه لأسفل ، ويتنهد ، ثم يغمغم :

ــ شىء غريب .

عندها يتذكر ابنته ، فيضيف :

ــ كنت تحدثيننى عن هدير .. ما بها ؟

ــ كنت أقول كانت أحوالها قد ساءت منذ قدوم تلك الدمية اللعينة إلى هنا ، لقد صارت تجلس إليها أكثر مما تجلس معى ، والأمر الأسوأ أنها تتحدث إليها كأنها تعى ما تقوله لها ..

هههاهها ..

ابتسم سعيد ، وأضاف :

ــ أنت تغارين على ابنتك من الدمية ..

ــ أنا لا أغار .. صدقنى لقــد سمعتها مرارًا تتحدث إليها ، وكأنها تعى ما تقوله لها هدير ..

ـ هل تتجسسين على طفلتك ؟

ـ نعم ، حتى أعلم ما الذى تفعله ..

ـ اطمئنى ، على نفسك أولاً ، فأنت فى طريقك إلى الخبال يا حبيبتى ..

ـ أنا لا أمزح ..

ـ حسنًا دعى هذا الحديث جانبًا أو حتى أعود من المدرسة ، فقد تأخرت

قالها ، وهو ينهض كى يغادر ، المنزل ، فى طريقة إلى مقر عمله ..

* * *

فى منزل سعيد تجلس أميمة لتتناول الفطور ، وتنادى على هدير ، التى ، لا تجيبها ..

هديييير ..

تصيح أميمة مرة أخرى ، ثم تنهض تاركة كل شىء ، متوجهة بخطوات ، متسارعة إلى حجرة ابنتها هدير ، وتضع ، أذنها على الباب ، وتصغى السمع إلى الداخل ..

* * *

ـ أين كنت بالأمس ؟ لقد نهضت فلم أجدك إلى جوارى !

تقولها هدير ، محدثه بها شخصًا آخر ..

تمسك أميمة بمقبض الباب لتفتحه ، لولا أن منعها سماع صوت آخر ، يتحدث إلى ابنتها قائلاً :

ـ كنت أتخلص من اثنين ممن تبغضين !!

قال الصوت ما قال ، فارتجفت أميمة هلعًا ، وأدارت مقبض الباب ، لتفتحه ، وتدلف إلى حجرتها ، لتجد ابنتها تجلس أمام الدمية ، وتحدثها !

ــ مع من كنت تتحدثين يا هدير ؟

قالتها أميمة ، وهى ترتجف ، فأشارت هدير إلى الدمية ، وأضافت :

ــ إنها ماندى ، دميتى !

* * *

الدمية ماندى ..

فى منزلى .. أجلس أتفقـد الصـور التى التقطتها فى رحلتى الأخيرة ، فأرى ذلك الصندوق الزجاجى الفارغ ، ثم اللافتة والتقرير الذى كتب أمامه ، أقرب الصورة من عينى كى أتمكن من القراءة ، فلا أرى شيئًا ، أتركها ، واذهب إلى جهاز الحاسوب ، وأفتحه ، وأدخل إلى الشبكة العنكبوتية ، باحثًا عن ، الدمية ماندى ..

نعم ها هى ..

ما هذا !!

إنـها هى !!

ربما تشبهها ، لكن .. إنـها هى الدمية التى وجدتها فى حديقة المتحف ..

بصوت مسموع بدأت أقرأ ما ظهر أمامى ..

الدمية ماندى ..

تبرع أحدهم بتلك الدمية إلى المتحف فى عام 1991 ، وكانت ملابسها آنذاك متسخة وجسمها متشقق ورأسها ممتلئ بالصدوع . إذ يقدر عمرها بأكثر من 90 عامًا ، والقول الذى يشيع فى المتحف حول تلك الدمية هو أنها « تبدو كدمية من الطراز القديم ولكنها أكثر من ذلك بكثير » ، المرأة التى تبرعت بالدمية « ماندى » تدعى « ميريافدا » وهى التى أخبرت أمين المتحف أنها كانت تستيقظ فى منتصف الليل على صوت طفل يبكى فى القبو، وعندما تحققت من مصدر الصوت وجدت باب النافذة مفتوحًا بالقرب من الدمية والهواء يتلاعب بالستارة أمامها بالرغم من أن باب النافذة كان مغلقًا سابقًا . كما أخبرت أمين المتحف لاحقًا بأنها لم تعد تسمع صوت بكاء الطفل فى الليل بعد أن وهبت تلك الدمية لهم !!

البعض يزعم بأن لماندى قـوى غير عادية أو يبدو أنها اكتسبت تلك القوى بمرور السنين الطويلة ، ولكن بما أنه لا يعرف إلا القليل عن تاريخ تلك الدمية فلا يمكن أن نكون متأكدين بدقة عما حدث !!

انتهيت من القراءه على الشاشة ، والعرق يتصبب من كل أنحاء جسدى ..

إنها هى ، ذات الملابس ، وذات الشقوق فى رأسها .. لقد أعطيتها بنفسى لابنة سعيد ..

لا بد أن أتصل به ، لأحكى له كل شىء .. أخذت الهاتف ، وبدأت فى الاتصال بسعيد ..

* * *

سعيد ..

يقف سعيد داخل الفصل ممسكًا بعصًا طويلة ، ومشيرًا بها على بضع كلمات قد خطها مسبقًا على السبورة ..

يتحدث تلميذ إلى آخر ، فيلتفت سعيد ليراهم فيأمرهم أن ينهضا ، ويذهب إليهم ، ليلهب كفيهما بعصاته ، يدق هاتفه الشخصى فى حقيبته ، فيلتقطها تلميذ ليعطيها إلى سعيد ، وهو يضيف :

ــ التليفون يا أستاذ ..

يلوح سعيد بدوره بالعصا ليحمر يد الطفل ، ويضيف :

ــ وما دخلك أنت أيها الــ « .... »

يقولها وهو يلتقط منه الحقيبة ، ليخرج الهاتف ، ويجيب :

ــ ألوو ، من معى ..

ــ أنا إبراهيم يا سعيد ..

ــ صديقى اللدود .. كيف حالك ؟

ــ بخير حال ، والحمد لله ، .. أود أن أخبرك بشىء خطير .

ــ ماذا هناك ؟

يقولها ، وأسمعه ، يصرخ فى أحد التلاميذ :

ــ اخرس يا محمد يا سيد ، والله العظيم لـــ......

قاطعته قائلاً :

لن يفيد الهاتف يا سعيد ، سوف آتى إليك اليوم ..

يتنهد قائلاً :

ـ عذرًا يا إبراهيم ، أنت تعلم ..

ـ أعلم أعلم .. لكن الأمر جلل ، لذا سوف آتى إليك ، الليلة فى المساء ..

ـ إنه بيتك ، يا صديقى ، على الرحب والسعة ..

ـ سلام .

ـ سلام ..

* * *

أميمــة ..

تقترب أميمة من الدمية بخطوات مرتعشة ، وتمسك بها ، لتراقبها عن كثب ، مجرد دمية كأى دمية مصنوعة من مادة البلاستيك ، لكن ماذا عن الصوت الذى صدر من خلف الباب ..

تنظر إليها فى حذر ثم تصفعها عدة صفعات بيدها اليمنى ، وتعيد النظر إليها ، كى تشاهد ردة الفعل ..

عندها تجد الدمية ، بالتحديد منطقة الفم تذرف دمًا !!

تفلتها من يدها ، وتتراجع إلى الخلف ، لتلتصق بالجدار ، بعد أن أطلقت سارينة مدوية من فيها ، معلنة عن موتها هلعًا ..

تتقدم بضع خطوات مرة أخرى ، وتلتقط الدمية ، وتذهب فى اتجاه الشرفة ، وتطوح بها إلى الطرقات .. ثم تغلقها لتلتقط أنفاسها المتلاحقة ..

تتذكر ، زوجها سعيد ، فتهرع إلى هاتفها ، لتطلبه ..

ويدور بينهما ذلك الحوار ..

ــ ألو .. سعيد ..

ــ أميمة ، حبيبتى ..

صوت أميمة يلهث ، ويقول بصوت متقطع أفقد الكلام ترتيبه :

ــ الدمية .. هدير ، دمًا ..

ــ ماذا ؟

تلهث مرة أخرى ، وتصمت برهة كى ترتب ما تقول ، وتضيف :

ـ الدمية التى أعطاها صديقك هذا إلى هدير .. تنزف دمًا من فمها ! ، وتتحدث إلى هدير !

ـ ....

ـ سعيد .. أتسمعنى ؟

ـ أميمة ، عندما تريدين المزاح انتظرى عودتى إلى البيت ، أما الآن فلدى حصة ..

ـ أنا لا أمزح ..

تقولها فى جدية ، وتضيف :

ـ لقد ألقيت بها من الشرفة .

ـ صدقينى يا أميمة لدى حصة الآن ، انتظرينى ، وسوف نتحدث على راحتنا ..

قالها ، ثم أغلق الهاتف ، ودلف إلى الفصل ، لقضاء حصته ..

* * *

عندئذ نرى الدمية ، التى ألقت بها أميمة من الشرفة ، وكأن الحياة قد دبت فيها .. تتحرك بتؤدة ، وتنهض !!!

ثم تقف على قدميها .. « تتحرك بطريقة ميكانيكية ملحوظة » ، تنظر يمينًا ، ويسارًا ، ثم تبدأ فى السير بذات الحركة الميكانيكية لتختبئ خلف صندوق لجمع القمامة ، حتى يحل الظلام !!

* * *

فى بيت سعيد ..

يجلس سعيد فى بيته ، وأمامه زوجته ، يتبادلان الحديث ..

ـ صدقنى يا سعيد هذه الدمية مسكونة ببسم الله الرحمن الرحيم ...

ـ أنت تخرفين يا حبيبتى .. تشاهدين الأفلام ، ثم تهلوسين بعدها ..

أنا لا أخرف .. هذا ما حدث ..

ـ نعم .. نعم بكل تأكيد ..

ـ إن ابنتك لا تحب اللبن ، وأنت تعى ذلك ، لقد وجدت الإناء الخاص به فارغًا ذلك الصباح ، هل لك أن تفسر لى كيف ؟

ـ أنت من شربه .. هكذا ببساطة ..

ـ لم أشربه .. أقسم لك أننى لم أشربه ..

تن تن تن تن

يدق جرس الباب ..

تهم أميمة بفتحه ، ليدلف إبراهيم فتحى ، الذى هو أنا إلى الداخل ..

ـ كيف حالك يا إبراهيم ؟

ـ يقولها سعيد ، وهو يتقدم نحوى ، ويمد يده ليصافحنى .

أصافحه بدورى ، ثم يقتادنى إلى الداخل لنجلس فى غرفة المعيشة ، بعد أن طلب من زوجته أن تعد لنا كوبين من القهوة .

* * *

جلست على المقعد ، وبدأت أقص عليه ما توصلت إليه ..

ــ بداية أعلم أنك لن تصدقنى ، لكن هذا ما حدث ، بالضبط ..

تغيرت ملامح وجهه ، وبدت عليه علامات الاهتمام بما سأقول ، فواصلت حديثى قائلاً :

ــ الموضوع يخص تلك الدمية التى أهديتها لابنتك ، التى نسيت اسمها .. منذ أيام كنت فى رحلة إلى مقاطعة كندية ، بالتحديد فى كولومبيا بريتش ، وزرت متحفًا هناك يسمونه متحف كويسنيل .. أثناء زيارتى لذلك المتحف ، والتقاطى لعدة صور بداخله ، لمحت صندوقًا زجاجيًا فارغًا !

قرأت اللافتة الخاصة بالشىء المعروض بداخله ، فوجدتهم يقولون : إن داخله دمية غريبة الأطوار .. اسمها ماندى !

ــ ماذا تقصد بغريبة الأطوار ؟

ــ قالها باهتمام ، فأجبته :

ــ يقولون إنها كانت تبكى !

قلتها وأضفت :

ــ أخذت ذلك الاســم ، وبدأت أبحث عنه على الشبكة العنكبوتية عندما جئت إلى مصر ..

أبدل من جلسته ، وتنهد ، فواصلت :

ــ لكن قبل ذلك وفى حديقة ذلك المتحف ، وجدت دمية قبيحة المنظر ، فأخذتها وجلبتها معى إلى مصر ، ثم إلى ابنتك ..

ــ ما لذى تقــ ...

ـ دعنى أكمل فحسب ..

قلتها مسكتًا إياه ، فصمت ، فاسترسلت :

ـ أعود بك إلى عملية البحث على الإنترنت ، وإذا بى أجد صورًا لتلك الدمية ، تدل على أنها ذات الدمية ، التى جلبتها إلى ابنتك .

أنهيت حديثى ، فإذا بزوجته تدلف إلى الخارج ، صارخة :

ـ الم أقل لك وأنت لم تصدقنى ..

نظرت إليها متعجبًا ، وأضفت :

ـ عذرًا ما الذى أخبرتيه إياه ، هل بخصوص ما قلته ؟

ـ نعم هو ذا ..

ـ نظرت لسعيد ، الذى جلس كـ « الأطرش فى الزفة » ثم إلى زوجته ، وأضفت متسائلاً :

ـ هل من الممكن أن تخبرينى بما حدث تفصيلاً ؟..

قلتها وجلست لتقص على ما حدث وهو ما قرأته منذ قليل ، لذا دعنى أستمع إذًا ..

* * *

جريمـة أخـرى ..

كانت صفية مبروك دادة تعمل فى حضانة « .... » ، غير متزوجة .. تمقت الرجال .. بدينة للغاية .. تحب بل تعشق الطعام عشقًا ..

كل الأطفال تمقتها تقريبًا ..

يفر من أمامها فأر عابث ، فتصرخ :

فئران .. هذه الكائنات القبيحة ..

تقولها ، وتذهب إلى المطبخ ، لتخرج منه علبة ، خط عليها « سم قوى للفئران » ، تراها وتبتسم ، وهى تضيف :

سوف أعد لك وجبة لا بأس بها ، وبعدها ، تصبح كرة من الفرو ..

بعد قليل نرى فأرًا مكومًا على الأرض دون حراك ، وبجانبه قطع من الجبن الرومى مسموم كان يأكله ..

* * *

بعدئذ نراها ، تمسك ، بحقيبة ما تخص فتاة ، وتعبث بداخلها كى تخرج كيسًا من الساندويتشات ، ثم تبدأ فى ازدرادها ، واحدًا تلو الآخر .. وهى تبتسم .. وكأن متعة الحياة فى التهامها لتلك الساندويتشات ..

تنهض دون متاعب رغم كل ذلك الدهن .. لتواصل سرقة الساندويتشات من الحقائب .. تمسك بأخرى ، وتعبث بها ، لتخرج صيدها الثمين ،

وتضعه إلى جواراها وتبدأ فى التهامه وهى ترمق المكان بعين زائغة كلص محترف ، فتلاحظ وجود شىء غريب !!

شىء غريب لم يكن موجودًا منذ لحظات !!

تترك ما كانت تفعل ، وتنهض لتذهب إليه لتجد أنه ليس سوى دمية قبيحه الشكل ، ملابسها متسخة ، تجلس على الأرض ، بجانب الباب الخاص بالحضانة ، تقترب منها ، ثم تجلس القرفصاء ، لتنظر إليها ، وتضيف :

ــ يا للقرف ، ممن سقطت ، أيها القذرة ؟
إن مكانك ليس هنا ..

ــ تقولها ثم تمسك بها من ملابسها ، ودون كلمة أخرى تلقى بها فى سلة المهملات ..

يصرخ بعض الأطفال ، وتنشب معركة بينهم ..
تزأر صفية ، وتذهب كالنمر المفترس ، تجاه الأطفال ..
عندها نرى تلك الدمية ، تتحرك ، وتخرج من السلة ، وتسير إلى حيث الفأر الذى لقى حتفه ، وتلتقط قطع الجبن الرومى من جانبه ، وتذهب إلى حيث ساندويتشات صفية ، وتحشوها بها ، وتسكن حركتها مرة أخرى .
تعود صفية بعـد أن التهمت الأطفـال ، لتجـد الدمية بالقـرب من الساندويتشات !

تنظر لها بقرف ، وتشكك ، ثم تلتقطها ، وتطوح بها من نافذة الحضانة ، وهى تضيف :

ـ الآن لن أراك أبدًا ..

تقولها ، وتذهب لتواصل أكل الساندويتشات المسمومة !

* * *

ـ وبعد ذلك ؟

قلتها لمدام أميمة زوجة سعيد ، فأضافت :

ـ تخلصت منها ، وألقيت بها من الشرفة ..

نظر سعيد إليها غير مصدق لما يحدث ، وأضاف :

ـ أنت قلت إنك سمعت الدمية ، وهى تتحدث إلى هدير ، وتخبرها أنها قد تخلصت ممن تكرهه هدير ..

ـ نعم .. أقسم لك أن ذلك حدث ..

ـ لا داعى لأن تقسمى يا مدام أميمة ، فنحن نصدقك ، لكن معنى كلامك هذا أن هناك ضحيتين ، قد لقيا حتفهما و ...

ـ هناك آخرين .. يا لها من كارثة ..

قلتها ، وقاطعنى سعيد بهذه الأخيرة ، وهو يضيف :

ـ لا بد أن نتحدث إلى هدير نفسها ..

قالها وهو ينهض ليذهب إلى حجرة هدير ، ويدعونى إلى الدخول معه ، أبيت هذا ، بداعى أن ابنته ، لا تحبنى ، و ...

انتظر !!.. لقد قلت إن ابنته لا تحبنى ، إذًا أنا من بين قائمة الضحايا ، اللذين لم يحالفهم الحظ ليموتوا !

فنهضت بسرعة كالملسوع ، واتجهت معه إلى غرفة ابنته ..

فى البداية حملها ليحتضنها ، ثم أجلسها على فراشها ، وهو يبتسم ، وبدأ فى استجوابها ..

أنت تعرف الأطفال جيدًا ، لا يبتل فى فمهم الفول ، لذا راحت تقص علينا كل ما حدث معها بالتفصيل الممل ، حتى نام منى سعيد ، وكأنها تقص عليه حدوتة قبل النوم ، لكزته فى كتفه كى يصحو ، فأضاف :

ـ إذًا من كنت تكرهينه يا هدير ، يا حبيبتى ؟

قالها فتبادلت هى النظرات معى ومع أبيها ، ثم شرعت ، تخبرنا بقائمة المكروهين فى حياتها ..

ـ عمو جابر بتاع الحلوى ، والرجل شبمبورى الجزار و ...

ـ من ؟!

قالها سعيد ، بعد أن تبدلت ملامحه ، فأعادت عليه :

ـ عمو جابر بتاع الحلوى ، والرجل شبمبورى الجزار و ...

قالتها فنظر إلى ، وأضاف :

ـ لقد لقى الاثنان حتفهم بالفعل أمس ، لقد قرأت الخبر صباح اليوم فى الجريدة اليومية ، والغريب أنهم ذكروا أن هنالك بصمات تبدو وكأنها بصمات ليد طفل سواء فى محل البقالة أم الجزارة !

ـ إذًا ما قالته زوجتك وهدير يحدث بالفعل ..

ـ أكملى يا هدير ..

ـ قالها أبوها فأضافت :

ـ ودادة صفية التى تشبه الفيل .. و...

ثم صمتت ، وهى تنظر نحوى ..

بالطبع لا داعى كى تخبرنى أننى من ضمن تلك القائمة السوداء ، فهذا شىء واضح منذ أن قابلتها ، رغم أننى ابتعت لها هدية ، ابتسمت ، وأضفت :

ــ وأنا طبعًا ، عمو إبراهيم .

هزت البنت رأسها موافقة ، وأضافت :

ــ والعمة سلوى ، وعم عبيدة الذى يبيع الفول ، وكذا عم ...

ــ كفى يا هدير .. كفى ، أنت تكرهين العالم بأثره .

قلتها وأنا أنظر إلى سعيد مضيفًا :

ــ إذًا فهذه الدمية تقتل بالترتيب ..

ــ ماذا ، أقصد أنها تخلصت من الجزار والبقال وهى الآن فى طريقها للتخلص من الدادة صفية ، ثم منى أنا للأسف ، وهكذا ..

ــ وما العمل ؟

ــ لا شىء سوى أن نجدها ، وقد ألقت زوجتك بها من الشرفة ..

ــ غبية ..

ــ من هى ؟

قالتها زوجته التى وقفت خلفنا لا ندرى متى ؟ لتسمع ما نسمع

فأضاف :

ــ الدمية طبعًا ..

قالها وأضاف :

ــ إذًا نبدأ فى البحث عنها ..

ــ لن يحدث ، ولن يجدى .

ــ لماذا ؟

ــ لأننا لن نجدها بكل سهولة ، فلن نسأل القاصى والدانى عن دمية تسير وحدها فى الطرقات ، هذا شىء ، والشىء الآخر أننا سنضيع الوقت ، وبالتالى جرائم أخرى .

ــ إذًا ما العمل ؟

قالتها زوجته ، فأضفت :

ــ إن كان ما كوناه من نظرية عن تلك الدمية صحيحًا ، فهى الآن ستحاول الذهاب إلى حيث الدادة صفية .. وبالتالى التخلص منها ، لذا ..

ــ نذهب نحن إليها أولاً ..

قالها سعيد مقاطعًا ، فأضفت :

ــ هذا إن لم تكن قد سبقتنا إليها .

* * *

على مدخل العمارة التى تحوى حضانة أطفال الجنة .. وقفنا ننقد سائق السيارة الأجرة نقوده ، ونشاهد حشدًا لا بأس به من رجال الشرطة ، ومن الناس ، الذين تجمهروا أمامها !

نظرت لسعيد ، وأضفت :

ــ لقد حدث ما كنا نخشاه .

أماء سعيد برأسه وأضاف :

ــ وما العمل ؟

ـ دعنا نذهب لنرى ما الذى حدث أولاً ..

قلتها ، وطفقنا نحشر أجسادنا ، وسط تلك الجموع لنرى ما يرون ..

سألت أحدهم فى خبث عما يدور ، فأجابنى :

ـ سكتة قلبية ، سيدة ماتت بالهارتى أتاكم ..

ـ تقصد هارت أتاك ..

قلتها مصححًا فنظر إلى فى حنق ، وأشاح بوجهه بعيدًا .

بعد ذلك سوف نقرأ ذلك الخبر فى الصحيفة اليومية ، وسنعرف أن الذى حدث ليس سكتة قلبية بل إن تلك السيدة قد ماتت مسمومة بسم الفئران ، أما الآن ، فنحن لا نعلم شيئًا عن ذلك ..

تقدمنا قليلاً حتى اتضح لنا كل شىء ، فأضاف سعيد :

ـ إنها هى ، لقد علمتُ من أحدهم ، لقد تخلصت منها هى الأخرى ..

ـ من هى ؟

قالها شخص بجانبنا ، فأضفت :

ـ لا شىء .. لا شىء

قلتها ، وأنا أجذب سعيد ، الذى أضاف فى هستيريا :

ـ الدور عليك الآن ، سوف تقضى عليك أنت الآخر !

ـ لن يحدث ، لا تقلق .. سوف أخبرك بكل شىء ، لكن ليس هنا ..

* * *

فى بيتى ..

جلست أنا وسعيد ، وأخذت أشرح له ما سنفعله تمامًا ..

وعندما فرغت أضاف :

ـ إذًا ستنتظرها ..

ـ نعم .. والآن دورك هو أن تذهب لتحضر ما أخبرتك به ، وكذا تتصل بزوجتك كى تخبرها بألا تسمح لهدير بالخروج من البيت ، وألا تفتح الباب لأى سبب من الأسباب .

أمسك بهاتفه ، وبدأ فى الاتصال بزوجته وإخبارها بما قلته حرفيًّا ، وبعد أن أنهى مكالمته ، انطلق خارجًا من شقتى ، وجلست أنا لأنتظره ..

* * *

ـ عظيم ..

قلتها لسعيد ، وأنا أفرز ما أحضره ، محدثًا نفسى .. هذا الدلو ، وهذا الصندوق الخشبى .. و...

فأردف :

ـ أرجو أن يفلح هذا ..

ـ سيفلح إن شاء الله .. والآن علينا أن ننتظر ..

هرش فى فروة رأسه ، وأضاف :

ـ حتى الآن أنا لا أصدق ما يحدث !!

ـ لك كل الحق ، لكنه يحدث ..

* * *

تثاءبت قائلاً وأنا أنظر إلى ساعة الحائط وأضع يدى على فمى :
ـ لقد صارت الواحدة صباحًا ، ولم يجد جديد ، سوف أدلف إلى الفراش قليلاً ، وأنت كن يقظًا ، وإن أردت أن تنام ، أيقظنى ..
فربما كنا مخطئين ..
نهضت متثاقلاً كالروبوت ، وفركت فى عينى ، ودلفت إلى الفراش ..

* * *

لا أعلم كم من الوقت قد مر ، وأنا تحت الغطاء نائم ..
تناهى إلى مسامعى صوت يقول :
ـ إبراهيييييم .. أين أنت ؟
صوت مغر قادم من عالم سحيق .. صوت شخص ، وكأنه يلهو ..
لك أن تتخيل ذلك المشهد ..
الظلام يعم الغرفة ، بل الشقة بأكملها إلا من الضوء الواهن ، القادم من الأباجورة الموضوعة على الكومود ، الخاصة بغرفتى .
ثم تسمع ذلك الصوت ..
بالطبع علمت أنها هى ، وأن الدور على قد حان ..
ـ إبراااهيييييم !!
يدوى الصوت مرة أخرى معلنًا عن اقترابه ، فأرتعد ، مناديًا بصوت واهن :
ـ سعيد .. أيها الغبى لا بد أن النوم قد غلبه ..
رفعت الفراش برفق ، كى أتبين مصدر الصوت هنا .. لمحتها !

كانت دميمة ، قبيحة بشكل لا يوصف ، ملابسها قذرة بشدة ، لكن منظرها لا يوحى بكل ذلك الرعب ..

أزحت الغطاء عنى بالكامل ، لأجد سعيد يقف عند الباب ، ممسكًا بالدلو الذى ابتاعه ، ويتقدم إلى الداخل بحذر ، حتى يقف خلفها تمامًا ، ثم يقلبه رأسًا على عقب فوقها لتستقر داخله ، صانعًا منه شركًا لها ..

ــ أحسنت ، يا سعيد ..

قلتها وأنا أهرول خارجًا من الغرفة وعائدًا إليه بصندوق من الخشب ..

ــ الآن ..

قلتها وأنا أضع يدى تحت فوهة الدلو بحذر وألتقط الدمية من ملابسها ، ثم جذبتها إلى الخارج بسرعة ، ودسستها داخل الصندوق الخشبى ، وأغلقته ..

أمسك سعيد بجاكوش ، وعدة مسامير ، وبدا فى تثبيتها فى سقف الصندوق ، كى يمنع فتحه إلى الأبد ..

* * *

الخــاتمــة

كانت الطريقة الوحيدة ، التى توصلنا إليها للقضاء على تلك المصيبة ، هى إحراق الصندوق ، بمن فيه .. أو الأدق بما فيه ..

لذا تجدنا نستقر داخل سيارتى ، فى طريقنا إلى الصحراء ..

وبالفعــل ، وعنــد انتهاء العمــران ، وفى الصحراء المؤدية لطريق الإسكندرية توقفنا ، خرجنا من السيارة .. وضعنا الصندوق على الأرض ، وسكبنا فوقه الكثير من الجازولين ، ثم أشعل سعيد عود ثقاب ، ووجهه تجاه الصندوق ، لتشتعل فيه النيران ..

وقفنا نتأمل ذلك المشهد ومعه بزوغ الفجر ، ونستمع إلى صراخ شنيع يمزق الأذن ، كأنه قادم من سقر ذاتها ، حتى صار كومة من الرماد ..

وانتهى كل شىء ..

* * *

فى منزل سعيد ..

جلسنا نتناول الفطور ، وأخذ هو يقص على زوجته ما حدث تفصيلاً ..

تن تن ...

دق جرس الباب .. فنهضت أميمة لتفتحه ، وإذا بها تتهلل ، وتضيف :

ـــ أبى ..

تقولها وهى تحتضن كهلاً ، لم أتبينه ، ثم تصيح :

ـ إنه أبى يا سعيد ..

* * *

نهضت ونهض سعيد بدوره ، مرحبًا بالرجل ، الذى دلف إلى الداخل حاملاً الكثير من الحقائب ..

جلس على أقرب مقعد مناديًا على هدير ، التى ركضت ناحيته ، لتحضنه وتلثمه عدة لثمات ، فمد يده إلى حقيبة ما وأخرج صندوقًا للهدايا ، وأعطاه إياها ، فهشت وبشت ، وسألته عن فحواه ..

فتبسم الرجل ، وهو يضيف :

ـ إنها دمية كما طلبت منى يا حبيبة جدو ..

تمت بحمد الله

رقم الإيداع : ٣٥٧١